بسم الله الرحمن الرحيم

ملخّص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على بليغ البلغاء وفصيح الفصحاء وخاتم الأنبياء محمد ﷺ أما بعد .. فإن شرف العلم بشرف متعلقه، وقيمة كل علم بقائله، فكيف بحديث نبي البلاغة ﷺ فإن حديثه ﷺ يعلو كلام البلغاء وينزل عن القرآن ، هو المنهل العذب للبلاغة العربية التي ما وجدت إلا لخدمة منبعي التشريع الكتاب والسنة ، ومن هذا المنطلق تحدد موضوع البحث الموسوم بـ (أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في صحيح البخاري ودلالاته البلاغية) متخذاً من نصوص الحديث النبوي الشريف أمثلة بليغة لاستكناه الأسرار البلاغية الدقيقة الكامنة في خلال تراكيبها القصرية ، وقد اجتمع فيه من دلائل البلاغة الشيء الكثير .

وإذا وقع الخلاف بين النحاة في الاستشهاد بالحديث فإن جهابذة اللغة قد أشادوا ببلاغة النبي ﷺ واستشهدوا بها ، فجوامع كلمه ﷺ : كلام قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجلّ عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي ، فلم يتكلم إلاّ بكلامٍ قد حُفّ بالعصمة وشُدّ بالتأييد ويُسّر بالتوفيق ، فرسول الله ﷺ كان أفصح العرب لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا يبغي إليه وسيلةً من وسائل الصنعةِ ، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ثم لا يعرض له في ذلك سقطٌ ولا استكراه ، بحيث لا يجد الناظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً ، ولا تعرف له إلاّ المعاني التي هي إلهام النبوة ، ونتاج الحكمة ، وغاية العقل ، ولهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها من دون العرب ، وكثرت جوامع كلمه ، وخلص أسلوبه فلم يقصر في شيء ، ولم يبالغ في شيء واتسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحةِ والبلاغةِ ما لو أراده مريدٌ لعجز عنه ، وهذه أسباب دفعتنا إلى اختيار الموضوع ووضع خطة البحث فيه ، وقد تصدر الجانب التنظيري بتبيان المفهوم البلاغي (القصر) في اللغة والاصطلاح واستقصيت

فيه أهم ما قاله أعلام البلاغيين عن القصر وما اتفقوا على تعريفه بتعريفٍ جامعٍ مانعٍ شائعٍ في مؤلفاتهم ، وابتغاء إتمام الرؤية النظرية للمفهوم من جميع وجوهه ، فقد فصلت الحديث عن رُكني القصر لكونهما البناءينِ لكل تركيب قصري باجتماعهما مع إحدى الأدوات القصرية ثم بوبت تقاسيم القصر ، وبينتُ أثر أسلوب (النفي والاستثناء) في دلالة القصر بسبب كثرة وجود هذا الأسلوب في المتن النبوي الشريف مناقشاً لقواعد القصر وشروطه المتأصلة في كتب البلغاء والموقف منها ، وبولوج البحث إلى الجانب التطبيقي انشطر إلى مبحثينِ احتويا قصر الحقيقة وقصر الإضافة ، وانفرد مبحث قصر الحقيقة بمطلب قصر الصفة على الموصوف ، وتثنى مبحث قصر الإضافة بمطلبي قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة ، واشتملَ البحث على أمثلة التحليل وانتقاها ، ففيها توظف المفهوم على وفق مستوياتٍ ثرة بالفكر والذوق الدلالي مع بيان الدقائق والأسرار في محوري البنية النبوية (المقصور والمقصور عليه) ، وختم البحث بخاتمةٍ ذكرتُ فيها نتائج عملي البلاغي .

The Style of Restriction with negation and exception In Sahih Al-Bukhari and its Rhetorical Significances

Dr. Basheer Mahmoud Fattah: Teacher
Teachers Training Institute-Mosul

Abstract:

Prise be to Allah and blessing and peace be upon the eloquent alblaghaa ring alnbin Muhammad pace be upon him that his speech usher for Arabic eloquence. The greatest of language refer to the prophecy of eloquent and quote with it,

he is known for the only meanings that are the inspiration and product of wisdom and the very mind, therefore; the words are increased that he specialised with them.

His style doesn't restrict for anything, therefore; these causes encourage me to choose this subject and putting a plan for searching after reading the prophetic texs including the style of restriction in Al-Bukhari, I notice that the style of negation and exception are the most uses in Hadeeth Al-Bukhari therefore ; the secret most eloquent that stand behind the numerical huge is the specilist style with restriction of standardization (there is no God but Allah) and the restriction of supplication and Dhikr.

The theoretical side of the search may issue the eloquent restriction in languge and terminology. I conclude that the imporant thing that the fame of eloquence has said and their agreement about its definition (Exhaustive) and explain the saying about the pillars of the exclusive palace and exclusive. I state the style of trace for (negation and exception) in the indication restriction. With the beginning of the search, the practical side splits into two parts that contain on the restriction of truth and the addition. The search chooses analysis samples and chose it. The search had ended with a conclusion that we mention in it the result of eloquent working for the theoretical land application side.

الجانب التنظيري : القصر تعريفه وأركانه وأقسامه

- القصر لغة :

لقد سمّى البلاغيون القدامى هذا الفن البلاغي تسميتينِ مشهورتينِ:

الأولى : (القصر) ، وهي الأكثر وروداً في مؤلفاتهم البلاغية واللغوية والنقدية .

الثانية : (الحصر) ، وهي الأقل وروداً .

ومن هذا المنطلق سنتناول المرجعية المعجمية للمصطلحين لنبين معانيهما من خلال وضعهما في أصل اللغة :-

فالقصرُ لغةً : هو الحبس، يقال قصرته إذا حبسته وهو مقصور، أي محبوس، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢) ، أي قصرنَ وحبسنَ على أزواجهن فلا يطمحنَ لغيرهم[١]، وامرأة قاصرة الطرف لا تمدّه إلى غير بعلها، كأنها تحبس طرفها حبساً، وقد تضمن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾(الرحمن: ٥٦)[٢] ، "ومن الباب : قُصارَاك أن تفعل كذا وقَصْرُك، كأنه يراد ما اقتصرت عليه وحبست نفسك عليه، والقَصْرُ والقِصَرُ في كل شيء خلافُ الطُّولِ يقال : عادتْ مَحُورَتُه إلى قَصْرِ ، معناه إلى قِصَر وهما لغتان وقَصُرَ الشيءُ بالضم يَقْصُرُ قِصَراً خلاف طال وقَصَرْتُ من الصلاة أَقْصُر قَصْراً والقَصِيرُ خلاف الطويل ، والقصر: "الغاية... يقال : قَصْرُك أن تفعل كذا أي حسبك وكفايتك وغايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه... والاقتصار على الشيء الاكتفاء به... واقتصر على الأمر : لم يجاوزه..."[٣].

وأما الحصر لغةً : فالحاء والصاد والراء أصلٌ واحد، وهو الجمع والحَبْس والمنع ، والحِصر: العَيُّ، كأنَّ الكلام حُبِس عنه ومُنِع منه ، والحَصَر: ضِيقُ الصَّدْر ، ومن الباب الحُصْر، وهو اعتقال البَطْن؛ يقال منه حُصِر وأُحْصِر، والناقة الحَصُور، وهي الضيِّقة الإحليل؛ والقياس واحد، فأمَّا الإحصار فأن يُحْصَرَ الحاجُّ عن البيت بمرضٍ

---

(١) ينظر : لسان العرب - ابن منظور : مادة (قصر): ٩٥/٥ .
(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الطبري : ٧٦/٢٣ .
(٣) لسان العرب - مادة (قصر) : ٩٦/٥.

أو نحوه ، وناسٌ يقولون: حَصَره المرض وأحصره العدُوّ ، والأمرُ كلُّه دالٌّ على الحبْس ، ومن الباب: الحَصُور الذي لا يأتي النِّساء؛ فقال قوم: هو فَعول بمعنى مفعول، كأنّه حَصِر أي حُبِس، وقال آخرون: هو الذي يأبَى النساء كأنّه أحجَمَ، قال تعالى في يحيى عليه السلام : ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران:٣٩) ، ويقال : حصره يحصره حصراً إذا ضيّق عليه وأحاط به، والحصر هو القصر[١] .

وبالتمعن في النص المعجمي المتقدم يمكن أن ندرج الملاحظ الآتية:

١. أن القصر والحصر ذو مرجعية معجمية موحدة وأن المصطلحين دالان على التخصيص أو ما أسماه البلاغيون القدامى بالاختصاص ويدلان على الإيجاز .
٢. يفصح النص المعجمي على أن القصر إنّما هو قائمٌ ومعتمدٌ على تلك الثنائية التلازمية التي اصطلح على تسميتها البلاغيون بالمقصور والمقصور عليه وهما : طرفا القصر .
٣. يشير القصر في مدلوله اللغوي إلى قسميه المتكونين باعتبار الحقيقة والمجاز وهما : القصر الحقيقي والقصر المجازي أو (الإضافي) ولاسيما الأول منهما لدلالته على اختصاص المقصور بالمقصور عليه لا يتجاوزه إلى غيره .
٤. تومئ الدلالة اللغوية لمصطلح (القصر) إلى المسوغ البلاغي الذي يقف وراء هذا الحبس أو القصر أو الاختصاص أو الحصر وكأن المعجمي أراد بقوله : (القصر : الغاية وقصْرُك أن تفعل كذا أي حسبك وكفايتك وغايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه..) أن يشير إلى سر بلاغة المصطلح الكامنة في الإيجاز والتأكيد والتخصيص والمبالغة في المفاهيم المتقدمة ، فالمراد بالغاية الهدف البلاغي المتوخى من الأسلوب القصري.

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة - ابن فارس :٧٢/٢ .

- القصر اصطلاحاً :

هو أحد الفنون البلاغية التي يستدعيها المقام ويوّجه مدلولاتها حال المخاطب ولقد تفاوتت التسميات البلاغية للمصطلح في مؤلفات البلاغيين واللغويين وقبل عرضها لابد من الوقوف عند إمام اللغة والنحو والبلاغة سيبويه لمعرفة كنه القصر في كتابه، إذ لم يكن حديثه عن المصطلح إلاَّ مبتوراً بتراً، ومتناثراً في أسطر معدودة، وعلى الرغم من هذا الاختصار الشديد ففي هذا النزر اليسير من الإفادة ما يجعلنا نستنتج نوعي القصر المقسمين باعتبار اعتقاد المخاطب التابعين للقصر الإضافي: وهما قصر القلب، وقصر التعيين : قال في حديثه عن النعت "...ومنه مررت برجل راكع لا ساجد، لإخراج الشك أو لتأكيد العلم .."[١]... وهكذا فسيبويه في هذا الخطاب يرى أن السامع متشكك في وصف الرجل بأحد الوصفين، الركوع أو السجود، فأراد للمتكلم أن يزيل الشك والتردد بما يعرف بـ (قصر التعيين) أو أراد للمتكلم أن يصف الرجل بالركوع لا السجود وهذا هو (قصر القلب)، وبذلك خصّ سيبويه مقاله بإحدى طرائق القصر المعروفة وهي طريقة العطف[٢].

ولم يكن لبقية حروف العطف (بل ولكن) بيان في الكتاب كما لم يفصح سيبويه عن صلتها بالقصر، وقد غلب على حديثه عنها الطابع النحوي الصرف نافياً الدلالة البلاغية القصرية، وأقرب ما يكون من حديث سيبويه عن القصر ما نراه واضحاً وضوحاً تاماً عندما يتكلم على (إلاَّ) وفائدتها الكامنة في إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه ، قال : " فأما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحقَ إلاَّ، فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه وذلك قولك (ما أتاني إلاَّ زيدٌ) و (ما لقيتُ إلاَّ زيداً) و (ما مررت إلاَّ بزيدٍ) فأدخلت (إلاَّ) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفي ما سواها فصارت هذه الأسماء مستثناة " [٣].

---

(١) الكتاب : ٤٣٠/١.
(٢) ينظر : فن البلاغة ـ د. عبد القادر حسين : ١٥٧ .
(٣) الكتاب : ٣١٠/٢.

ونصّ سيبويه النحوي البلاغي لم يُذكر فيه مصطلح (القصر) البتة إلاَّ أنه أفصحَ عن معناه المتداول عند البلاغيين ؛ لأنه خصص ما قبل إلاَّ بما بعدها ونفى ما سوى ذلك كما ذكر طريقة القصر المبثوثة في النصوص اللغوية وغاية ما في الأمر أن سيبويه لم يتناول من طرائق القصر إلاَّ (النفي والاستثناء) و (العطف) [١].

والقصر في بواكير نشأته لم يكن سوى ضرب من الإيجاز ؛ ذلك أن هذا الضرب قد تضمن شواهد القصر بإنَّما وبإلاَّ المسبوقة بالنفي ، وهذا ما نجده عند الرماني في رسالته في إعجاز القران الذي قال : "وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف ، وإن كان الحذف غامضاً للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح، فمن ذلك: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ ، ومنه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ ، ومنه: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ، ومنه: ﴿ولا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾"[٢]، كما نجد المفهوم ذاته عند العسكري أيضاً الذي قال : "والإيجاز : القصر والحذف ، فالقصر تقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، وهو قول الله عز وجل : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ، وقوله عزّ اسمه : ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾" [٣] .

وبذلك نستنتج من إشارة النصينِ إلى أن القصر لا يقتصر توظيفه في التراكيب والجمل على الطرائق المعروفة فيه وإنّما قد يرد بدلالة المعنى على الإيجاز.

وأما شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني فقد أورد المصطلح البلاغي بتسميتينِ الأولى "الاختصاص"[٤] والثانية : القصر، الذي لم يذكره إلاَّ في موضع واحد هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ من عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨) ، قال: "الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء"[٥]، والمصطلح عند السكاكي هو القصر وقد تناوله

---

(١) ينظر : فن البلاغة : ١٥٨-١٥٩.
(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ٧٦-٧٧ .
(٣) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : ١٣١-١٣٢.
(٤) دلائل الإعجاز : ٢٥٢.
(٥) م. ن : ٢٦١.

بالدراسة البلاغية والدلالية متطرقاً للقصر باعتبار غرض المتكلم وباعتبار طرفيه وباعتبار حال المخاطب كما بين أشهر مواقعه[١]، ومن البلاغيين القدامى من استعملَ مصطلح الحصر والقصر[٢] ولم يفرّق بينهما، والقصر عند القزويني صاحب الإيضاح والتلخيص حقيقي وإضافي وقد استوفى بقية الأقسام القصرية الأخرى[٣].

والقصر عند العلوي[٤] هو الحصر والاختصاص وقد بيّن في طرازه التراكيب النحوية للجمل القصرية التي ترد بأسلوب (النفي والاستثناء) و(إنّما) موضحاً الاختصاص الواقع في الفاعل والمفعول[٥]، ولابن حجة الحموي تسمية مخالفة لتسميات البلاغيين البلاغيين القدامى فالمصطلح عنده شهير باستثناء الحصر وقد ضمن كتابه الأمثلة المتضمنة طريقتي (النفي والإستثناء) و(إنّما)[٦].

والتسمية الجامعة عند السيوطي هي القصر والحصر والاختصاص ، وما يلفت النظر في كتابيه (الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن) أنه لم يكتفِ بطرائق القصر الشهيرة عند البلاغيين وإنما تجاوزها إلى غيرها من الطرائق، وله اختلاف يفرّق به بين الحصر والاختصاص اللذين عرفا عند البلاغيين

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٥٠٧ وما بعدها.
(٢) ينظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - ابن الزملكاني : ١٦٤-١٦٥.
(٣) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٧٠ ، والتلخيص في علوم البلاغة : ١٣٧.

(٤) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، يروى أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره ، ولد في صنعاء سنة ٦٦٩ه ، وأظهر الدعوة بعد وفاة (المهدي) محمد بن المطهر سنة ٧٢٩ ه ، وتلقب بالمؤيد بالله أو المؤيد بربّ العزة ، من تصانيفه : الشامل في أصول الدين ، ونهاية الوصول إلى علم الأصول ، والتمهيد لأدلة مسائل التوحيد ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، وتصفية القلوب عن أدران الأوزار والذنوب في التصوف ، توفي في حصن هران قرب ذمار سنة ٧٤٥ ه ، ينظر : الأعلام – خير الدين الزركلي : ١٤٣/٨ .

(٥) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- العلوي : ٢١٥/٢ ، وأحسن الصياغة في حلية البلاغة - عبد الله الفرهادي الواعظ : ٤٤ .
(٦) ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب : ١١٨-١١٩.

بمفهوم واحد قال : "والفرق بينهما أن الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه"[١].

وبعد بيان العناصر المشتركة وغير المشتركة في تسميات طائفة من البلاغيين ومفاهيمهم للمصطلح البلاغي ، يمكننا التوصل إلى التعريف المتفق عليه في الاصطلاح البلاغي وهو أن القصر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص أو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه[٢].

- ركنا القصر (المقصور والمقصور عليه)

لقد استنتج البلاغيون طرفي القصر أو ركنيه اعتماداً على تعريفه في الاصطلاح البلاغي وهما اللذان يسهمان في تكوين الجملة القصرية :

فالركن الأول أو الطرف الأول هو المقصور : ويعرّف بكونه المختص أو المحبوس[٣]، أو "الموقوف على شيء محدد" [٤]، أي أنه "الشيء المخصص" [٥] أما أما الركن الثاني أو الطرف الثاني فهو المقصور عليه : وهو "الذي وضع ليختص به" [٦] أو "دائرة الحبس، أو إطار الوقوف الذي يحتوي المقصور، بحيث لا يتعداه المقصور إلى غيره من الدوائر وإلاّ لما كان مقصوراً" [٧].

ولتبيان معنى كلمتي المقصور والمقصور عليه، نتمعن في قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (يس:١٧) ، فالمقصور : هو الموصوف أو بشكل أدق هم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٥٢/٢ ، وينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن : ١٨١/٢ وما بعدها.

(٢) ينظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني) - د. بكري شيخ أمين: ١٢٣ .

(٣) ينظر : شروح التلخيص : ١٦٦/٢ ، والمعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) - د. محمد التونجي وراجي الأسمر : ٤٦٧/١ .

(٤) بلاغة الكلمة والجملة والجمل - منير سلطان : ٢٢٠ .

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها- د. أحمد مطلوب : ٤٤٨/٢ ، وينظر: علم المعاني - د. قصي سالم علوان: ١٤٠ .

(٦) المطول على التلخيص - سعد الدين التفتازاني : ٢٠٣-٢٠٤ ، وينظر: أساليب بلاغية- د. أحمد مطلوب: ١٧٦ .

(٧) بلاغة الكلمة والجملة والجمل ٢٠٢ ،وينظر : البلاغة الاصطلاحية - د. عبدة عبد العزيز قلقيلة: ٢٥٠ .

الموصوفون بصفة البلاغ المبين، والمقصور عليه الصفة المذكورة (البلاغ)، وطريق التخصيص والحصر والوقف نفى أن يكون للموصوفين صفات أخرى غير البلاغ وهذا لا يكون إلا على وجه الادعاء والمبالغة ؛ لحرصهم الشديد على الالتزام بصفة التبليغ الثابتة لهم ، ولإخلاصهم في إيصال الرسالة السماوية إلى المنكرين أكد البيان القرآني المبارك أن لا صفات لهم إلا تبليغ الرسالة الشريفة.

ويتميز المقصور بالثبوت أما المقصور عليه فهو المتغير في الجمل القصرية ذلك أنه واحد من متعدد ولأنه قائمٌ على الاختيار والترشيح [١] ، ولعل في ذلك إشارة واضحة إلى أن الاختصاص واقع فيه لا محالة في جميع طرائق القصر.

وفي شأن مجاوزة المقصور للمقصور عليه أو عدم المجاوزة ، لا نجد أن المفهوم البلاغي للقصر الإضافي يصدق على تعريف قسم من البلاغيين المحدثين للقصر، ومنهم د.منير سلطان الذي عرّفه قائلاً "فالقصر اختصاص المقصور بالمقصور عليه، لا يتعداه إلى غيره وقصره عليه وارتباطه به"[٢]، وأما د. علي البدري ففي حديثه عن الحد الفني لأسلوب القصر يخبرنا بأن " روح أسلوب القصر تدل على عدم تجاوز المقصور للمقصور عليه وهذا ما يقول به التذوق الفني لهذا اللون البلاغي البالغ الأهمية "[٣] ، وهذان التعريفان يجليان المفهوم البلاغي للقصر الحقيقي في عدم تجاوز المقصور للمقصور عليه إلى غيره ، ولا ينطبق على مفهوم القصر الإضافي الذي يتجاوز فيه المقصور المقصور عليه إلى غيره حسبما ورد في مؤلفات البلاغيين القدامى وتناقل عنهم ذلك المحدثون [٤] ، ففي تعريف البلاغيّن

---

(١) ينظر : بلاغة الكلمة والجملة والجمل : ٢٠٣ .
(٢) م. ن: ٢٠٣ .
(٣) بحوث المطابقة لمقتضى الحال زاد النقد الأدبي السليم : ٨ .
(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : شروح التلخيص : ١٦٧/٢ ، والمعاني في ضوء أساليب القرآن - أساليب د. عبد الفتاح لاشين : ٢٧٣ ، وعلوم البلاغة - أحمد مصطفى المراغي :١٨٣ .

للقصر شيء من التعميم إلاَّ إذا قصدوا أن منع التجاوز إنّما هو قائم على القانون البلاغي المعروف بالادعاء والمبالغة، وهما لم يصرحا بذلك.

- أقسام القصر

إنّ من أوضح التقسيمات التي قسم بها البلاغيون القصر وعملوا على تبويبه في أقسامه المعروفة لديهم ما نشهده في مؤلفاتهم وكالآتي[١] :

١- تقسيم القصر باعتبار الطرفينِ أو الركنينِ :

والقصر باعتبار طرفيه أو ركنيه المقصور والمقصور عليه، ينقسم على قسمينِ :

أ. قصر الصفة على الموصوف

ب.قصر الموصوف على الصفة

وقبل إيضاح مفهوم القسمينِ لا بُدَّ من استكناه مفهوم الصفة فالمقصود بها الصفة المعنوية لا اللفظية أو ما تسمى بالنعت النحوي فالصفة القصرية هي معنىً قائم بغيره سواء أكان فعلاً أم مصدراً أم اسماً جامداً أم مؤولاً، وكما هو معروف في قانون النحاة أنه لا يجوز الفصل بين النعت ومنعوته بفاصل ، وعندما تكون أدوات القصر ذلك الفاصل فإن المصطلح البلاغي لا يقع في الجمل النعتية [٢]، وقد تكون الصفة القصرية "حقيقية ملموسة أو مجازية متخيله"[٣]، والمراد بالموصوف : (كل ما دل على ذات)[٤] "إنساناً أو حيواناً أو نباتاً

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن أقسام القصر مذكورة في كتب البلاغيين الأصول، وذكرت في مؤلفات البلاغيين المحدثين ومنها : تيسير الإيضاح - د. محمد بيلو أحمد أبو بكر: ١٠٦-١١٥ ، والبلاغة فنونها وأفنانها - د. فضل حسن عباس : ٣٦١-٣٦٧ .

(٢) ينظر : شرح التلخيص - محمد هاشم دويدري : ٧٣ .

(٣) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : ٢٠٤ .

(٤) ينظر : علم المعاني - عبد العزيز عتيق : ١٧١ .

أو

جماداً، وقد يكون الموصوف في نفسه معنىً أو صفة"[١] كقول رسول الله ﷺ : (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصدمة الأولى)[٢] أي ما الصبر إلاَّ الكائن عند هذه الصدمة.

أ. قصر الصفة على الموصوف : هو أن تحبس الصفة على الموصوف وتختص به ولا تتجاوزه إلى غيره إن كان القصر حقيقياً، وتتجاوزه إلى غيره إن كان القصر إضافياً، وقد يتصف الموصوف بغيرها من الصفات[٣].

ومثال قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة:٢٥٥)، إذ أن صفة الألوهية مقصورة على الإله الخالق جلت قدرته وحده لا شريك له.

ومثال قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً قوله ﷺ : (لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ)[٤]، وفي البيان الشريف قُصرت صفة الحسد على موصوفين أنعم الله تعالى عليهما بخصلتين، وهما من أسباب رضوان الله تعالى لأنهما من فضائل الأعمال، وعُدَّ القصر إضافياً ؛ لأن الحسد قد يتجاوز هذين الموصوفين إلى غيرهما.

ب. قصر الموصوف على الصفة : هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختص بها ولا يتجاوزها إلى غيرها إن كان القصر حقيقياً – وهذا النوع من القصر لا يوجد بتاتاً إلا في قصر الله عز وجل على صفة الألوهية – ويتجاوزها إلى غيرها إن كان القصر إضافياً وقد يشاركه غيره فيها [٥] ، ومثال قصر الموصوف على الصفة

---

(١) من بلاغة النظم العربي- دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة : ١٣-١٤ .
(٢) صحيح البخاري : ٤٣٠/١ ، حديث رقم (١٢٢٣) .
(٣) ينظر : البلاغة العربية تأصيل وتجديد - د. مصطفى الجويني: ٤٠ ، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد: ١٧٧-١٧٨.
(٤) صحيح البخاري : ٢٧٣٧/٦ ، حديث رقم (٧٠٩١) .
(٥) ينظر : البلاغة العربية تأصيل وتجديد : ٤٠ .

قصراً لا يكون إلاَّ إضافياً قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (محمد:٣٦) ، فالآية المباركة تصرّح بأن الحياة الدنيا موصوفة باللهو واللعب وغيرها من الصفات الأخرى، وقد خصصت هاتان الصفتان مبالغة في تهوين شأن الدنيا ؛ لأنها دار فناء وزوال وأن الدار الآخرة هي دار القرار والبقاء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصفات القصرية قد تتعدد وتجتمع لتختص بالموصوف المعين كما في الآية الكريمة السابقة وكما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ﴾ (المائدة:٩١)، والقصر في الآية المباركة إضافي والمقصور فيه الموصوف وهو الشيطان أما المقصور عليه فهو تلك الصفات المضلة التي يريد الشيطان إيقاعها بالمتقبل لها والمستعد للاتصاف بها ، ويشمل هذا التعدد الموصوف ، إذ قد يقصر موصوفان أو أكثر على صفة واحدة مذكورة في النص ثم يضيف إليها ذهن المتلقي أو المخاطب غيرها من الصفات الأخرى غير المذكورة لأنه على وعي كامل بأن هذا القصر لا يكون إلاَّ إضافياً ولا يُعْقَل أن يتصف الموصوف أو الموصوفان أو الموصوفون بالصفة المذكورة دون غيرها.

٢. تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم أو باعتبار الحقيقة والإضافة :

ينقسم القصر بهذا الاعتبار على قسمين رئيسين : القصر الحقيقي ، والقصر الإضافي .

الأول: القصر الحقيقي :

أجمع علماء البلاغة القدامى والمحدثون على تعريفه بأن يختص المقصور بالمقصور عليه لا يتجاوزه إلى غيره مطلقاً بمعنى أنه يثبت له وينتفي عما عداه انتفاء عاماً ومطلقاً[1].

ومثال قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (البقرة:٢٦٩) ، والقصر في القول المبارك طريقه (النفي والاستثناء) ، وقد أثبت أن

---

(1) ينظر : معترك الأقران : ١٨١/١ ، والمدخل إلى دراسة البلاغة العربية ـ د. السيد أحمد خليل : ٢١٣ .

صفة التذكر مقصورة على أصحاب العقول النيّرة بنور الإيمان لا تتجاوزهم إلى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع.

وأما قصر الموصوف على الصفة فهو نوع لا يكاد يوجد من البليغ "لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها نفياً تاماً" [١] وإن وجد هذا النوع القصري فعندئذ يكون معتمداً على مبدأ الادعاء والمبالغة.

لقد قسّم بعض البلاغيين[٢] القصر الحقيقي على نوعينِ :

أ- القصر الحقيقي التحقيقي : وهذا النوع هو المقصود عند إطلاق القصر الحقيقي.

ب – القصر الحقيقي غير التحقيقي (الادعائي) – المجازي- : وهذا النوع من القصر أساسه الغلو والمبالغة وفيه ينزل ما عدا المقصور عليه منزلة العدم، ومثاله في قصر الصفة على الموصوف : (لا شاعر في العرب إلاَّ المتنبي)، وفي الحقيقة أن في العرب شعراء كثيرين إلاَّ أنه لبلوغ المتنبي تلك الدرجة الرفيعة في رقيه الشعري فإن المتكلم نفى الصفة عما عداه ، وخصّ الشاعر بها وكأنها مقصورة عليه فحسب مبالغة في تميّزه بها.

ومثال قصر الموصوف على الصفة : (ما المتنبي إلا شاعرٌ) وفي الجملة يظهر القانون الادعائي بشكل جلي لأنه مما لاشك فيه أن يكون للمتنبي صفات أُخر غير الشعر إلاَّ أن المتكلم قصر الشاعر على الصفة قصراً ليس حقيقياً بل أساسه المبالغة والإدعاء ولعل المبرر البلاغي الذي يقف وراء ذلك شدة إعجاب المتكلم بالشاعر.

الثاني : القصر الإضافي

هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه، كالحقيقي، إلاَّ أن نفي المقصور عن غير المقصور عليه لا يكون مطلقاً بل خاصاً ومقيداً، والمستنتج من تعاريف البلاغيين

---

(١) من بلاغة النظم العربي : ١٣ .

(٢) ينظر : بحوث المطابقة لمقتضى الحال زاد النقد الأدبي السليم: ١٠-١٣ ، وعلم المعاني: ١٤٦ ، والبلاغة الاصطلاحية : ٢٦١ ، والمعاني في ضوء أساليب القرآن :٢٨١ .

أنه يكون إضافياً أي بالإضافة إلى صفات أخرى معينة ومخصوصة أو إلى موصوفين آخرين معينين ومخصوصين[١] .

ومثال قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً، قول المصطفى ﷺ :(لاَ تُشَدّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ومسجدِ الرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى)[٢]، وقد قصر المصطفى ﷺ صفة السفر وشد الرحال إلى المساجد الموصوفة المعينة في حديثه الشريف دون غيرها من سائر المساجد ودور العبادة ، ولعل ذلك لخصوصية تلك المساجد دلالة بلاغية تكمن في الاهتمام بها لما شرفها الله تعالى من فضل مكانة وتعظيم شأن.

ومثال قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً : قوله ﷺ (مَا من عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)[٣]

والحديث الشريف يفصح عن فضيلة الصيام في سبيل الله تعالى، إذ قُصر صيام العبد باعتباره الموصوف على صفة مباعدة الله تعالى له عن نار جهنم هذا فضلاً عن

ان إثبات الصفة للموصوف يشعر بأصناف الثواب الأخرى التي منها دخول العبد الجنة

لقوله ﷺ : (فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إلا الصائمونَ)[٤].

لقد قسم البلاغيون القصر الإضافي على قسمينِ[٥]:

١. القصر الإضافي التحقيقي أي على سبيل الحقيقة : وهذا النوع هو المقصود عند إطلاق القصر الإضافي المتقدم بيانه.

---

(١) ينظر : جواهر البلاغة - أحمد الهاشمي : ١٨٣.
(٢) صحيح البخاري : ٣٩٨/١ ، حديث رقم (١١٣٢).
(٣) صحيح مسلم : ٨٠٨/٢ ، حديث رقم (١١٥٣).
(٤) صحيح البخاري : ١١٨/٣ ، حديث رقم (٣٠٨٤) .
(٥) ينظر : البلاغة العربية - د. أحمد مطلوب : ١٢٥ .

٢. القصر الإضافي غير التحقيقي (الادعائي) – المجازي – : أي على سبيل الادعاء والمبالغة "وفيه ينزل غير المقصور عليه منزلة العدم" [١].

ومثال قصر الصفة على الموصوف : (ما عالمٌ إلاَّ محمدٌ) والجملة القصرية تستدعي قصر صفة العلم على الموصوف محمد بالنسبة إلى خالد إذا كان عالماً أيضاً وأساس القصر الغلو والمبالغة إعجاباً بعلم محمد ولذلك خصصت الصفة له ولم تتجاوزه إلى غيره على حد المنطوق في الجملة.

ومثال قصر الموصوف على الصفة، (ما محمدٌ إلا كاتبٌ) وفي الجملة قصر محمد على الكتابة قصر موصوف على صفة فلم يتجاوز الصفة إلى غيرها من سائر الصفات الأخرى التي تكون بمنزلة العدم قياساً بها ، وموطن البلاغة في هذا القصر براعة محمدٍ في كتاباته.

وبعد عرض تقسيم البلاغيين للقصر باعتبار غرض المتكلم، لنا أن نبين رأياً نخالف فيه البلاغيين لما في هذا التقسيم من تشابه في بعض أنواعه إذ استنتجنا من خلال تعريفهم لمصطلحي القصر الحقيقي الادعائي والإضافي التحقيقي ومن الشواهد البيانية التي وضحت النوعين أن لا فرق بينهما إطلاقاً، وليس ثمة تمييز أو تفاوت بين القصر الحقيقي الادعائي والإضافي الادعائي[٢]، والأجدى أن يتركز تقسيم القصر بهذا الاعتبار إلى حقيقي وإضافي دون التقسيمات أو الأنواع الأخرى التي تتضمن المفاهيم البلاغية ذاتها [٣] .

٣– تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب :

ويقسم القصر بهذا الاعتبار على ثلاثة أقسام :

---

(١) تيسير الإيضاح : ١٠٩.

(٢) ينظر: تيسير الإيضاح: ١٠٧-١٠٩، وبحوث المطابقة لمقتضى الحال زاد النقد الأدبي السليم: ١٠-١٣ ،
وعلم المعاني : ١٤٦-١٤٧ ، وأساليب بلاغية : ١٧٧-١٧٩ ، ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها: ٤٤٩/٢-٤٥٠ .

(٣) وردَ هذا التقسيم في الكتب الأصول ومنها : شروح التلخيص : ١٦٦/٢-١٦٨، والمطول ٢٠٦ ، ومن الكتب الحديثة : البلاغة العربية في ثوبها الجديد : ١٧٧-١٧٨ .

الأول : قصر إفراد : ويتضح من خلال تخصيص شيء بشيء دون آخر بنية رد خطأ المخاطب إذا اعتقد الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

الثاني : قصر قلب : ويتضح هذا النوع عندما يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبته القصر.

الثالث : قصر تعيين : ويتضح النوع الثالث إذا كان المخاطب متردداً في الحكم بين المقصور عليه وغيره [١].

وهذا التقسيم القصري منحصرٌ بالإضافي فحسب وهو لا يتأتى في القصر الحقيقي ؛ لأنّ القصر فيه يكون بالنسبة إلى غير المقصور عليه إطلاقاً فلا يمكن أن نتصور فيه الشركة أو العكس أو التردد على نحو ما هو معروف في الإضافي الذي يتجاوز فيه الحكم القصري المقصور عليه إلى غيره صفة أو موصوفاً[٢].

ولقد تناقل البلاغيون المحدثون عن القدامى شرطينِ يتعين توافرهما في قصر الموصوف على الصفة وهما :

١. يشترط في حالة الإفراد "عدم تنافي الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما في الموصوف"[٣]

٢. يشترط في قصر القلب "تنافر الوصفينِ وتنافيهما ليكون إثبات المتكلم إحدى الصفتينِ مشعراً بانتفاء الأخرى"[٤]

ولنا رأي يختص بقصر القلب والتعيين، إذ أن الخطيب القزويني ذهب إلى أنه لا فرق بينهما مطلقاً وحجته في ما ذهب إليه أن كليهما يشير إلى تخصيص أمر بأمر مكان آخر والذي يحدد كل نوع منهما اعتقاد المخاطب وحاله فأن كان اعتقاده العكس كان القصر قصر قلب وإن كان اعتقاده التردد كان قصر تعيين[٥].

---

(١) ينظر : تيسير الإيضاح : ١١٠- ١١١ .
(٢) ينظر : الإيضاح ٧١ ، والمعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٧٩ .
(٣) مفتاح العلوم : ٥٠٧ .
(٤) المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٨٠ .
(٥) ينظر : الإيضاح ٧١ ، وتيسير الإيضاح : ١١١- ١١٢ .

والذي نراه أن قصر القلب يعتمد اعتماداً كاملاً في مفهومه البلاغي على مبدأ التناقض أو الضدية أو العكس، ومن هذا المنطلق اشترط البلاغيون فيه تنافي بل وتناقض الوصفين في حين أن قصر التعيين إنّما هو قائم على مجموعة من الصفات المتوافقة غير المتنافرة الحاملة للمضامين والمعاني الحسنة أو السيئة وفي ذلك نخالف مقولة بعض البلاغيين " أما قصر التعيين فلا شرط فيه ؛ لأنّ كل ما يصلح للأفراد أو القلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس"[١]، وكان الأجدى أن يؤسسوا مقولتهم بما نصه (وفي قصر التعيين كل ما يصلح للإفراد يصلح له والعكس صحيح) ذلك أن الشرط فيهما عدم تنافي الصفات إذا كان القصر إفراداً أو تعييناً.

- طرائق القصـر :

للقصر طرائق متعددة إلاَّ أننا سنقتصر على المشهورة منها ذلك أن البلاغيين لم يتفقوا على غيرها كل الاتفاق وعدّوا أربعاً منها عمدة لهذا الأسلوب [٢] ، أما الطرائق الأخرى فلم يضمنها بعض البلاغيين مؤلفاتهم ذلك أنها لا تعد من طرائق القصر الاصطلاحية [٣]، وتشمل طرائق القصر كل أقسامه بالاعتبارات المختلفة كالقصر الحقيقي والإضافي وقصر الصفة على الموصوف أو العكس وقصر الإفراد والقلب والتعيين.

---

(١) البلاغة الاصطلاحية : ٢٦٢ نقلاً عن : كتاب الإشارات والتنبيهات - الجرجاني : ٨٩-٩٠ ، وينظر: أساليب بلاغية : ١٨٠، والمعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٨٠ .
(٢) ينظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد : ٣٦ ، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٣٦٧ .
(٣) ينظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد : ١٨٤ ، وبحوث المطابقة لمقتضى الحال زاد النقد الأدبي السليم : ٢٥ .

١. القصر بالنفي والاستثناء : ويتكون التركيب القصري في هذه الطريقة من :

أداة النفي ← لا ، ما ، ...
أداة النهي ← لا
أداة الاستفهام الإنكاري ← هل
ليس
أبى
يأبى

+ المقصور + أداة الاستثناء + المقصور عليه

إلاَّ
سوى
غير
حتى
دون

ويكون المقصور عليه كما هو موضح في المخطط بعد أداة الاستثناء ، ووجه إفادة النفي والاستثناء للقصر : هو أن النفي في الاستثناء المفرغ يقتضي وجود مقدّر محذوف هو المستثنى منه، لأن (إلاَّ) تكون للإخراج ، والإخراج يستدعي مخرجاً منه، والمستثنى منه لا بد من أن يكون عاماً ليتناول المستثنى وغيره فيتحقق الإخراج [١]، ولما كان كلّ قصر يفيد الإثبات والنفي، ففي طريقة النفي والاستثناء "يتم إثبات المقصور للمقصور عليه ونفيه عما سواه إطلاقاً في القصر الحقيقي وتقييداً في القصر الإضافي"[٢]، ويمكن التمثيل للطريقة بقول رسول الله ﷺ (لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إِلَّا إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قال: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)[٣] .

واقتصرنا على النفي والاستثناء في الجانب التطبيقي من بحثنا هذا ؛ خشيةَ الإطالة.

٠٢ القصر بإنَّما : ويتكون التركيب في الطريقة الثانية من :

إنَّما + المقصور + المقصور عليه ، ويكون المقصور عليه المتأخر دائماً في التركيب القصري ووجه إفادة (إنَّما) القصر تضمنها معنى (النفي والاستثناء) وأنها لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، وأبدى ما يكون وجه إفادة (إنَّما) القصر ما

---

(١) ينظر : من بلاغة النظم العربي : ٢٦-٢٧ .
(٢) م. ن : ٢٧ .
(٣) صحيح البخاري : ٢٥٦٤/٦ ، حديث رقم (٦٥٨٩) .

صرّح به البلاغيون والمفسرون في التبيان القصري المتمثل في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ (النحل:١١٥)[١]، إذ استنتجوا أنّ القصر يحصل بحالين :

"الأول : تضمنها معنى (ما وإلاَّ) على تقدير (ما حرم عليكم إلاَّ الميتة)

الثاني : بتعريف المقصور والمقصور عليه وذلك إذا بُنيَّ (حُرِّم) للمفعول ورُفع لفظ (الميتة) على أنه نائب فاعل، عندئذ يكون تقدير الآية المباركة : (إنَّ الذي حُرِّم عليكم هو الميتةُ)"[٢]

ولما كان أحد أهداف القصر البلاغية التأكيد فإن ذلك مما يتسق مع ما ذكره السكاكي في وجه إفادة إنَّما القصر، قال " لما كانت إنَّ لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة أن تُضمن معنى القصر؛ لأنّ قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلاَّ تأكيداً للحكم على تأكيد" [٣] .

إنَّ ما سبق ينطبق على قول سيد المرسلين ﷺ : (مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ)[٤]، ففي الحديث الشريف قصر الإطعام والإسقاء على الخالق الرزاق عز وجل قصر صفة على موصوف والمقصور عليه لفظ الجلالة.

٣. العطف وأدواته (لا) أو (بل) أو (لكن)

أ. يتكون التركيب القصري بطريقة العطف بـ (لا) من :

المقصور + المقصور عليه + لا ، ويتحقق القصر بوجود الإثبات والنفي ، وغالباً ما يكون القصر الإضافي في جمل (العطف) قصر قلب ؛ لأنه ردّ على اعتقاد المخاطب بعكس الحكم.

ب – يتكون التركيب القصري بطريقة العطف بـ (بل) أو (لكن) من :

أداة النفي + المقصور + أداة العطف + المقصور عليه

---

(١) ينظر : علوم البلاغة : ١٧٨- ١٧٩ .
(٢) تيسير الإيضاح : ١١٧ .
(٣) مفتاح العلوم : ٥١١ .
(٤) صحيح البخاري : ٢٤٥٥/٦ ، حديث رقم (٦٢٩٢) .

أداة النهي

ومثال القصر بالعطف قوله ﷺ : (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)[١] , وفي الحديث الشريف أفادت (لكن) العاطفة القصر لأنها سبقت بنفي , فأشعرت بنفي ما قبلها وأفادت إثبات ما بعدها بمعنى أنها تشعر بنفي المقصور وتفيد إثبات المقصور عليه ، وبالنفي والإثبات يتحقق القصر , وقد قصر الغنى على غنى النفس ونفي عن غيره , وهو من قصر الموصوف على الصفة.

٤. القصر بتقديم ماحقّه التأخير

يدلّ التقديم على القصر بما يفهم من النص العربي؛ لأنّ ذا الذوق السليم إذا كان له فضل تأمل في نص التقديم, أدرك منه أسلوب القصر والاختصاص[٢] , ويكون المقصور عليه المتقدم دائماً في جملة القصر وهو الذي يشير إلى مغزىً دال على هدف بلاغي, فالمتقدم هو ما يدور عليه الحديث وبه يبان المقصود والمراد والمتكلم يقدم ما يكون ذلك شأنه[٣], وللتقديم مرامٍ بلاغية مستقاة من المقام أو ما سمّاه البلاغيون مقتضى الحال وبما تفصح عنه النصوص القصرية، ومثاله دعاء رسول الله ﷺ : (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٤] , فغرض القصر بتقديم المسند (له) واضح في الحديث الشريف ، وهو إثبات الملك والحمد لله وحده لا غيره ؛ لأنّه تعالى المخصوص بالعبادة والملك والحمد.

- أثر النفي والاستثناء في الدلالة القصرية :

لا جرمَ أنّ طرائقَ القصرِ نظم بلاغية مستفادة من استعمال لغوي يعدُّ الأصل في تكوين طريقة القصر أو أداته[٥], وإذا كانَ مدار الحديث مركوزاً على

---

(١) م . ن : ٢٣٦٨/٥ ، حديث رقم (٦٠٨١) .
(٢) ينظر : علوم البلاغة : ١٧٩- ١٨٠ .
(٣) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٨٦ .
(٤) صحيح البخاري : ٢٨٩/١ ، حديث رقم (٨٠٨) .
(٥) ينظر : علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي - د. محمد حسين علي الصغير : ٨٥ .

طريقة (النفي والاستثناء) فإن القصر بهذه الطريقة يوجز الكلام, وينتج المعنى بجملة واحدة بدلاً من جملتين, لأنها تنص على إثبات ونفي أو العكس, وبذلك يتسع النص أو التركيب أو الجملة ليضم الاثنين معاً ، والقصر بها يمكن الكلام ويقرره في الذهن, وينفي عن الذهن كل إنكار وشك ، ودلالة القصر " تنصب على التأكيد وهو تأكيد يتجدد في معانيه ومدلولاته تبعاً لتجدد الجمل واختلاف سياقاتها"[١] , والأصل في (النفي والاستثناء) أن يستعملا فيما من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره ويحتاج فيه إلى تأكيد الحكم[٢]، ولعل ابتداء النص القصري بالنفي ثم بـ (إلاَّ) المشعرة بإثبات الحكم وإيجابه مما يتسق مع الجهل والإنكار الذي يبديه المخاطب، فتكون الطريقة القصرية وما قد يتداخلها من المؤكدات وسيلة لتأكيد الحكم المجهول ووجوبه، وهذا مما يتمثل في الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: (فِيهِ ساعةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا)[٣]، ففي الحديث الشريف إخبار عن الساعة التي يستجاب فيها دعاء المسلم والمخاطبون يجهلون تلك الساعة، وقد أدى القصر بلاغته الكامنة في ترغيب المسلم بالدعاء في جميع ساعات الجمعة رجاء موافقة تلك الساعة المجهولة ، ولذلك قصرت موافقة دعاء العبد المسلم بالخير في الساعة المقصودة على إقبال الله تعالى على الداعي بالإجابة ومنحه ما سأله، وهو من قصر الموصوف على الصفة قصر تعيين ؛ لأنّ "الخير مطلقٌ وجامع لأنواعه المتعددة والمختلفة" [٤] ، والداعي يسأل الله تعالى الخير الذي يريد.

ومن البلاغيين المحدثين من أنكر أن يؤدي التركيب اللغوي المتضمن (للنفي والاستثناء) معنى القصر قائلاً: "في جميع الأمثلة التي يذكرها

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري - د. محمد حسنين أبو موسى : ٣٢٢ .
(٢) ينظر : معترك الأقران : ١٨٣/٢ .
(٣) صحيح البخاري : ٣١٦/١ ، حديث رقم (٨٩٣) .
(٤) مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني : ٣٠٠ .

البلاغيون لا نجد ما يمكن أن ينهض دليلاً على فكرة القصر هذه ؛ لأننا لا نقصد بمثل هذا الأسلوب – يقصد طريقة القصر بالنفي والاستثناء – أن نقصر صفة على موصوف فهذا غير كائن ، ولا أن نقصر موصوفاً على صفة واحدة بعينها، فهذا غير ممكن"[١] وهذا رأي غير دقيق ولا ينهض دليلاً على إفساد معنى القصر بـ (النفي والاستثناء) ، ودليلنا على ذلك قول إمام النحاة سيبويه : "فأما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق إلاَّ، فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه وذلك في قولك ما أتاني إلاَّ زيدٌ"[٢] وغاية الأمر في هذا القول أن سيبويه لم يذكر لفظ القصر ولكنه أفاد معناه كاملاً بطريق النفي والاستثناء[٣].

وثمة فرق استنتجه البلاغيون للتفريق ما بين الطريقتين القصريتين (النفي والاستثناء) و(إنَّما)، ويتقدمهم في الإشارة إليه عبد القاهر الجرجاني عندما تحدّث عن التراكيب النحوية المتضمنة (للنفي والاستثناء) و(إنَّما) وتوجيهه البلاغي لها قائلاً "وفرق بين أن يكون في الشيء معنى الشيء وبين أن يكون الشيء للشيء على الإطلاق يبين لك أنهما لا يكونان سواء أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و(إلاَّ) يصلح فيه (إنَّما) أَلا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا من إِلَهٍ إلا اللَّهُ﴾ (آل عمران:٦٢)"[٤].

- مواضع القصر عندَ البلاغيين :

لقد اتفق البلاغيون على وقوع القصر في عدة مواضع نحوية منذ مرحلة متقدمة من تاريخ البلاغة العربية تبدأ من إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وتنتهي برائد الدراسات القرآنية المباركة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) وقد

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور - د. رجاء عيد : ١٢٨.

(٢) الكتاب : ٣٦٠/١.

(٣) ينظر : فن البلاغة : ١٥٨.

(٤) دلائل الإعجاز : ٢٥٣ .

تناقلها عنهم البلاغيون المتأخرون ، ونذكر أشهر مواضع القصر التي وردت في مؤلفاتهم البلاغية على النحو الآتي :

١. قصر المبتدأ على الخبر : كقوله تعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ (الأنعام:٣٢).
٢. قصر الفعل على الفاعل مثل : لا ينجحُ إلاَّ المجدُ .
٣. قصر الفاعل على المفعول كقوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة:١١٧).
٤. قصر المفعول على الفاعل : كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ من عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨).
٥. قصر المفعول الأول على الثاني مثل : (ما أعطيتُ الطلابَ إلاَّ محاضرةً).
٦. قصر المفعول الثاني على الأول مثل : (ما أعطيتُ محاضرةً إلاَّ الطلابَ).
٧. قصر الحال على صاحبها مثل : (ما عادَ مسرعاً إلاَّ بشيرٌ).
٨. قصر صاحب الحال عليها مثل : (ما جاء ماجدٌ إلاَّ مستبشراً).
٩. قصر التمييز على مميزه مثل : (ما طابَ نفساً إلاَّ بشيرٌ).
١٠. قصر المميز على تمييزه مثل : (ما طابَ بشيرٌ إلاَّ نفساً).
١١. قصر الفاعل على الجار والمجرور مثل : (ما نَظرَ خالدٌ إلاَّ إلى أبيه).
١٢. قصر الفاعل على الظرف مثل : (ما نَظرَ أحمدُ إلاَّ أماماً).
١٣. قصر البدل على المبدل منه مثل : (ما حفظتُ القصيدةَ إلاَّ مقدمتها) .

ولا يقع القصر بين الفعل ومصدره المؤكد فلا يقال : (ما قرأتُ إلاَّ قراءةً)، وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا ﴾ (الجاثية:٣٢) ، فهو لبيان نوع المصدر وتأويله (إلا

ظناً ضعيفاً) والمستثنى منه هو الظن الشامل للضعيف والقوي، وقد استثنى الضعيف، فصحّ القصر ، ولا يقع القصر بين الفعل والمفعول معه فلا يقال : (ما سار إلاَّ والطريق) ؛ لأنَّ ما بعد (إلاَّ) منفصل من حيث المعنى عمّا قبله لمخالفته إيّاه نفياً وإثباتاً ، وهذا يتناقض ويفسد معنى جملة (المفعول معه) المسبوق بواو تدل على المصاحبة والمعية[١].

(١) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٣٠٤.

الجانب التطبيقي : أمثلة التحليل من أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في صحيح البخاري

المبحث الأول : القصر الحقيقي

يقوم هذا المبحث على المبدأ البلاغي القصري المتمثل في عدم إمكانية تجاوز الصفة النبوية للموصوف النبوي اعتماداً على المضامين النبوية في البنى القصرية ، وهذا ما سنبينه من خلال تحليلنا للمتون النبوية الآتية في مطلبنا :

قصر الصفة على الموصوف

المثال الأول على قصر الصفة على الموصوف : قصر الألوهية على الله عزَّ وجلَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ والحجِّ وصَومِ رَمَضَانَ)[١]

يصرّح الحديث الشريف بأركان الإسلام ويفصح عن ركائزه العظام، ويفتتح بلفظ (البناء)، لما في صياغته اللفظية من دلالات التأسيس القوي المتين الدعائم وقد استعير اللفظ ليصف الإسلام، "فالإسلام بناء، وهو عمارةٌ تُشيَّد على خمس ركائز هي : التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج"[٢] ويتقدم ركائز الإيمان توحيد الله عز وجل بالشهادتين – أن لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وأَنَّ محمداً رسولُ الله – والقصر بالشهادة الأولى حقيقي ويعدُّ الأكثر وروداً في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وعلة ذلك مستبانة ؛ ذلك أنه القصر المرتبط بقضية الإسلام الكبرى وهي الإيمان بالله تعالى وتوحيده وفي المقولة الشريفة ذكرت الفريضة الأولى بطريق "قصر صفة الألوهية على الله عز وجل، فلا تكون لغيره، ولله صفات أخرى غير الألوهية" [٣]، منها ما

---

(١) صحيح البخاري : ١٢/١ ، حديث رقم (٨) .
(٢) تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية - د. أسعد أحمد علي : ٤١.
(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٧٦ .

ذكر في شأنه تعالى: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد:٢ــ ٣).

ولما كانَ ملاك النجاة للإنسان في الإسلام الإيمان بتوحيد الله عز وجل أي الإيقان بالله وحده وإفراده بالعبادة ، فإن هذا مما أفصح عنه النص القصري في البيان النبوي ولتأكيد تثبيت معاني الإيمان بالله عز وجل فقد تتابع بإيراد الفرائض الإيمانية بحسب أهميتها وضرورة الالتزام بتأدية كل منها.

ولا شكّ أن قصر الألوهية استخدم في البيان الشريف فيما شأنه ألاّ يجهل وينكر لأنه متعلق بقضية العقيدة الكبرى ويتقدمها شهادة أن لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله وهي الشهادة المعلومة المعروفة وهي الملزم بتنفيذها كل مسلم، إلاّ أن القصر ينزل منزلة المجهول والمستنكر لدى أعداء الله تعالى، فالكفرة ينكرون ويكذبون ما جاء به الرسل وما بعثوا به لهداية البشر وإنقاذهم من مهاوي الضلال وأولها الإشراك بالله تعالى عما يشركون، وإرشادهم إلى طريق الله الواحد الهادي سالكه إلى الحياة الإنسانية المُثلى.

ولردّ المنكرين الكافرين ولإبطال إشراكهم بالله تعالى وتفنيده وردعه تقدّم القصر التوحيدي المقولة الشريفة ؛ فهو دعامة الإسلام الكبرى وركيزته وفريضته الجوهرية ثم أُعقب بذكر الفرائض الإسلامية السامية[١].

ولقد حَسُنَ القصر بالشهادة لأن كل ما في نظمه وتركيبه ينسجم الانسجام التام مع الدلالة القصرية ، إذ أنَّ لا النافية للجنس تومئ إلى نفي صفة الألوهية نفياً مطلقاً عن غير الله جلت قدرته ، وأن مجئ صفة الألوهية بالصيغة المنكرة مما يعاضد دلالة القصر المفصحة عن اختصاص المقصور عليه وهو الله عز وجل بتلك الصفة لا تتجاوزه إلى غيره تبارك الإله ذو الجلال والإكرام[٢] ، وهذا يتسق مع سبب تقدّم النفي على الإثبات ، وهو أن نفي الألوهية عن غيره ثم إثباتها له أوكد في الإثبات من إثباتها له من غير نفيها عن غيره ، وأنّ لكل إنسان قلباً واحداً، والقلب الواحد لا

---

(١) ينظر : التمهيد لشرح كتاب التوحيد - صالح بن عبد العزيز بن آل الشيخ : ٦ وما بعدها.
(٢) ينظر : النحو الوافي - عباس حسن : ٦٨٥/١ .

يتسع باشتغال شيئين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولاً بأحد الشيئين يبقى محروماً عن الشيء الثاني ، فقوله (لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) إخراج لكل ما سوى الله عن القلب حتى إذا صار القلب خالياً عن كل ما سوى الله ثم حضر فيه سلطان (إِلاَّ الله) أشرق نوره إشراقاً وكمل استيلاؤه عليه كمالاً قوياً.

المثال الثاني : قصرُ وجود الظلِّ على ظلِّ الله عز وجل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) [١]

كرمُ الله تعالى واسعٌ في الحياة الدنيا وفضله عظيم على الخلق جميعاً ولاسيما أولئك السعداء الأبرار الذين سعدوا في الحياة الدنيا لاتصافهم بجميل الخصال وقيامهم بصالح الأعمال، وتنعمهم بأنواع النعم ، ومنها نعمة الإمامة ونعمة الإيمان والعبادة ونعمة خشية الله تعالى ونعمة الإحسان وفضل إخفاء الصدقة.

وأسلوب القصر ينبئ بثواب المبشرين السبعة ؛ إذ سيُستظلون بظل الله تعالى يوم القيامة [٢]، وهو من القصر الحقيقي لاقترانه بما سيحدث في يوم الحشر، ويتصف ركنه الأول بالأوصاف والظلال المعنوية المتباينة والمتفاوتة ولذلك أورده سيد المرسلين (عليه الصلاة والسلام) بالأسلوب المُنكّر المسبوق بالنفي القطعي الدال على انتفاء كل ظل بارد وكريم من الظلال المعروفة في الحياة الدنيا فهذا الظل وتلك الظلال لن تداني ظل الله تعالى المتفرد بصفاته في اليوم الموعود، ولعل ذلك مما له صلة بورود القصر في البيان النبوي قصرٌ إفراديٌ لا قصرٌ تركيبيٌ ، ومما يمتاز به المقصور تضمنه لصفات معنوية حقيقية ومجازية ، فالحقيقية تشير إلى امتياز

---

(١) صحيح البخاري : ٥١٧/٢ ، حديث رقم (١٣٥٧) .
(٢) ينظر : إصلاح المجتمع (شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم) - محمد بن سالم البيحاني : ٤٢ .

الأبرار السبعة على غيرهم باستظلالهم "بظل العرش يوم القيامة فلا يمسهم حر الشمس ولا وهجها" [١]، " حين تدنو من الخلق ويأخذهم العرق ويلجمهم ولا يدرون ما الله صانع بهم عند الحساب ولا أين يساقون بعد إلى الجنة أم إلى النار" [٢]، وأما المجازية : ففيها يكون (الظِلُّ) "كناية عن الكرامة والحماية والرعاية وشمول البررة بالعناية الإلهية والرحمة الربانية تحت ظل عرش الرحمن" [٣] لحميد خِلالهم التي يحبها الله ورسوله وهذا مما يشعر به سياق الكلام النبوي، ويثبت المقصور عليه باعتباره الموصوف بالأوصاف المكتنزة في المقصور الدلالات البلاغية المتقدمة [٤] التي أثبتها البيان القرآني الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلا﴾ (النساء : ٥٧)، ويومئ المقصور عليه إلى اختصاص الظل بعرش الرحمن أو صدور العناية والرعاية من الله تعالى وحده عن طريق وروده بالصيغة المعرّفة فضلاً عن إضافة الظلّ إلى الله تعالى إضافة تشريف وتكريم ودنو وتقريب من الله عزّ وجلّ ولقد حَسُنَ أسلوب القصر في أداء الدلالة ولاسيما المجازية لما فيها من الغموض المعطاء والدقة المعنوية لبلوغ التأثير في المتلقي وبلاغة المضمون الكريم[٥].

المثال الثالث : قصر مخالفة طريق الشيطان على طريق الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ) [٦] .

ينبئ الحديث الشريف عن منقبة من مناقب الفاروق ﷺ الذي "دعا له نبي الله ﷺ بالإسلام، فأسلم [٧]، وكان أول كلامه حين تولّى الخلافة بعد أبي بكر ﷺ "اللهم إني

---

(١) من كنوز السنة - محمد علي الصابوني : ١٩ .
(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - شهاب الدين القسطلاني : ٥٤٢/٣ .
(٣) من كنوز السنة :٢٢ .
(٤) ينظر : أدب الحديث النبوي - د. بكري شيخ أمين : ١٤٠-١٤١.
(٥) ينظر : دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) - محمد أبو موسى : ٢٦ .
(٦) صحيح البخاري : ١١٩٩/٣ ، حديث رقم (٣١٢٠) .
(٧) ينظر : فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - د. علي محمد الصلابي : ٩٩ .

شديد فليِّني، وضعيف فقوِّني، وبخيل فسخنِّي ، ومناقب خليفة الله عظيمة أعزَّ الله تعالى بها الإسلام ومنها : أن الوحي نزل على وفق قوله في آيات كثيرة منها آية أخذ الفداء عن أسارى بدر وآية تحريم الخمر وآية تحويل القبلة والنهي عن القيام على قبر من مات من المنافقين، وآية أمر النساء بالحجاب ، وكان مُحَدّثاً ملهماً[١].

والنصّ القصري الكريم يعلن عن فضيلة أخرى من فضائل الخليفة عمر ﷺ إذ كان يفرق بين الحق والباطل وكان حليف الإسلام ومحل الإيمان وهو بحق الله صابرٌ محتسبٌ حتى أظهر الله به الدين ، وكان في الشدةِ والرخاء شكوراً ، وهو رافض للظلم والجور والمحاباة والتزوير والكذب [٢]، وبسبب صفاته المضادة لما يريده الشيطان، اجتمع انتفاء سلوكه الطريق الذي يسلكه وينفذ فيه [٣] أبو حفص لخوفه منه مع إثبات سلوك الشيطان الطريق الواسع الذي لا يسلكه الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ .

وعندما يجتمع النفي والإثبات في تركيب لغوي واحد، فإن الاجتماع يصرّح بالقصر البلاغي، وتتضافر الألفاظ ومعانيها المكونة للمقصور والمقصور عليه لتشير إلى دلالات السياق الشريف فقد قُصرت صفة سلوك الشيطان على الموصوف المتفرد وهو الطريق الضال لا يتعداه إلى غيره من الطرق التي يسلكها خلفاء المسلمين وأئمتهم ورجالهم المجتمعين حول الرسول ﷺ ، ومن هذا المنطلق ينشأ القصر الحقيقي، "فالشيطان متى ما رأى عمر سالكاً فجاً هربَ هيبة منه وفارق ذلك الفج وذهب في فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً"[٤].

وتومئ دلالة الصفة المعنوية في المقصور ولاسيما من خلال تركيبها بالصيغة الاسمية إلى ثبوت قوة خليفة الله وبأسه وشجاعته وغلبته وصرامته وأنه لا يهاب في

---

(١) ينظر : إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء - محمد الخضري : ٦٣ ، والمختار مما فسّره الزمخشري من ألفاظ الحديث في أساس البلاغة - تأسيس لغوي ودراسة سياقية - د. بشير محمود فتاح : ٦٥ .

(٢) ينظر : محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - يوسف بن حسن بن عبد الهادي : ١٩٣ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة - مادة (سلك) : ٩٧/٣ .

(٤) إرشاد الساري : ٢٠٤/٧ .

الله أحداً، يقول ابن عباس ﷺ في شأن خليفة المؤمنين ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجرَ إلاّ مختفياً إلاّ عمر ابن الخطاب فأنّه لمَّا همَّ بالهجرة وتقلّد سيفه وتنكّب قوسه، وانتضى في يده أسهماً، ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بِفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكنا [١] ، على حين أن المقصور عليه ورد بالفعل الماضي المقترن مع صيغة النفي (غير) ليدل على ضعف الشيطان وخوفه وهربه من أبي حفص وأنه كلما رآه فرَّ ذعراً وهيبة منه[٢]، ولعلَّ توّحد الألفاظ المكررة في قصر الصفة على الموصوف والمتآزر مع توّحد مرجعيتها المعجمية والمناقض قصرياً لدلالاتها البلاغية له أثره البالغ في دفع المعنى النبوي إلى النمو تدريجياً وصولاً إلى الحد الذي يحسن الوقوف عنده.

ومن خواص التعبير الحديثي أنه يمتلك ناصية البلاغة في أداء الدلالة المجازية [٣]، الهادفة إلى إبلاغ المضمون النبوي الكريم، فالقصر قد يكون مجازياً وفيه تقصر غواية الشيطان على الموصوفين المتقبلين للغواية فحسب لا تتعداهم إلى غيرهم من المناقضين لهم ولغواية شيطانهم وهم الموصوفون بالهداية ومنهم الفاروق ﷺ السالك لطريق السداد خلاف ما يأمر به الشيطان ، نعوذ بالله تعالى منه.

---

(١) ينظر : فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : ٢٦ .
(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني : ٣٣٩/٦ .
(٣) ينظر : جهود الكرماني اللغوية والنحوية في شرح صحيح البخاري - سهيلة طه محمد البياتي : ٧٥ .

المبحث الثاني : القصر الإضافي

وفي هذا المبحث تتجلى السمة التجاوزية المبيحة للصفة النبوية أن تتعدى موصوفها أو العكس والمراد القصري كامن في تحقيق المرامي والمقاصد النبوية وسنزيد الكلام المتقدم إيضاحاً بتحليلنا لقسم من الأحاديث الشريفة :

المطلب الأول : قصر الصفة على الموصوف

المثال الأول : قصر حبّ الأنصار على المؤمنين ، وبغضهم على المنافقين

عَنْ عَدِيّ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ البَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الأَنْصَارِ: (لا يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ من أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمن أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) [١]

يعرض المتن الشريف بنى القصر في تراكيب لغوية متقابلة غايتها إبلاغ الدلالات القصرية من مكمنها، ولمّا كان القول الشريف قد جعل من علامات الإيمان وكماله حب الأنصار ؛ لما كان منهم من نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره ، وإيواء المسلمين ، وقيامهم بمهمات دين الإسلام حق القيام ، ولحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم ، ولبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه[٢].

والقصر في النص النبوي يؤول إلى تخصيص صفة حب الأنصار بالمؤمنين الموصوفين بالأوصاف والمناقب التي رفعها الإسلام وأعلى من شأنها ومنها الإيمان المشتق من "الأمن وهو طمأنينة النفس وسكون القلب" [٣]، وهو "منزلة من منازل

---

(١) صحيح البخاري : ١٣٧٩/٣ ، حديث رقم (٣٥٧٢) .
(٢) ينظر : فيض الباري مختصر شرح صحيح البخاري للنووي - محمد بن ياسين : ٥٧ .
(٣) المفردات : ٢٥ .

المرء بعد الإسلام لا يتحقق إلاّ بعد عمله بالشريعة" [١]، "ولهذا فهو رمز للشريعة نفسها، ويوصف بها كل من دخل فيها موقناً بكل ما فيها مع لزوم العمل بها وقد استعمل بمعنى التصديق المطلق أيضاً أي بكل من أذعنت نفسه للحق على سبيل التصديق بالقلب واللسان والعمل" [٢].

وبإنعام النظر في الجملتين القصريتين نجد أن دلالة النفي في جملة المقصور المتضمنة للصفة المعنوية – حب الأنصار وبغضهم – تتضمن معنى الإثبات ذلك أن قوله ﷺ (لاَ يُحِبُّهُمْ) يشير في مضمونه إلى الكافر أو المنافق وهذا بدوره يولد دلالة جديدة تضمها البنية العميقة للركن القصري الأول ومفادها أن قصد النبي ﷺ هو أن (يحب الأنصارَ المؤمنُ) ثم تؤكد الدلالة القصرية المقصودة بالإثبات القطعي الذي توحي به أداة الاستثناء (إلاَّ) وباتساقها مع المقصور عليه المتضمن للموصوف – المؤمن –.

وأما الصفة المعنوية المناقضة التي تضمنها المقصور في الجملة الثانية فالنفي التبعي الذي يسبقها يثبت معنى أراده نبي الإسلام ﷺ إذ يشير بقوله (لاَ يُبْغِضُهُمْ) إلى المؤمن والموالي له في حبّ الأنصار وهذا المعنى بدوره يقود إلى دلالة جديدة تضمها البنية العميقة للركن القصري الأول ومفادها أن المقصود النبوي هو أن (يبغضُ الأنصارَ المنافقُ) وتُؤكد الدلالة القصرية المقصودة بالإثبات القطعي الذي ترمز إليه أداة الاستثناء (إلاَّ) ومن خلال تناسقها مع المقصور عليه المتضمن للموصوف – المنافق –.

ومن أجل تعضيد الدلالتين القصريتين السابقتين جيء بالموصوف بالأسلوب المنكر ليومئ إلى عموم الموصوفين المؤمنين المحبين لإخوانهم الأنصار ويومئ إلى عموم المنافقين الذين يبغضون أنصار رسول الله ﷺ.

وسبب انتماء القصر إلى النوع الذي يكون على سبيل الإضافة إنما يعتمد على الفكرة القصرية التي أشار إليها البلاغيون والتي نستشف منها أن حب الأنصار

---

(١) فقه العبادات - محمد بن صالح العثيمين : ١٩ .
(٢) المفردات : ٢٦ .

يتجاوز المؤمنين إلى غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى كالنصارى مثلاً لقوله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ منهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة:٨٢). والسياق النبوي يستدعي في بنى القصر المتقابلة أن يكون قصر قلب لما يشي به النظم الشريف، فقد يعتقد المخاطب أو القارئ للمقولة الشريفة أن حب الأنصار يكون من المؤمنين وغيرهم من المناقضين لهم ولصفاتهم فتكون الجملة القصرية الأولى رداً على من يعتقد عكس الحكم الذي أثبته قوله ﷺ وهو أنه – لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ– حب جميعهم وبغض جميعهم لأن ذلك إنما يكون للدين ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له فليس داخلاً في ذلك ، وخصوا بهذه المنقبة العظمى ؛ لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ومن معه والقيامة بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم والعداوة تجر البغض ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد والحسد يجر البغض فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق تنويها بعظيم فضلهم وتنبيها على كريم فعلهم وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور كلٌّ بقسطه[1].

ومن هذا المنطلق يثبت تجاوز كره الأنصار المنافقين الموصوفين بأسوأ صفاتهم إلى الكفرة المناوئين للإسلام والمسلمين، ويكون قصر قلب لأن الجملة القصرية الثانية –وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ– تكون رداً على من يعتقد أن بغض الأنصار يكون من المنافقين وغيرهم من المناقضين لهم والمعادين لكفرهم وعندئذ تثبت هذه الجملة عكس الحكم الذي من الممكن أن يعتقده من لا يعرف الأنصار وفضائلهم ومناصحتهم لله تعالى ورسوله ﷺ وإعزازهم الدين وإيثاره على أنفسهم ومساندته بالأعمال المناصرة له، وتتوالى مؤكدات المضامين القصرية بتذييل قوله ﷺ بما هو تبيان وإظهار لما أراده في الدعوة الشريفة التي تقابلت فيها البنى القصرية الفعلية

([1]) ينظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - المباركفوري : ١٠ /٢٧٤ .

المتسقة مع مسلكيها مسلك الترغيب ومسلك الترهيب ليكون الوصفان المتضادان (الحب/البغض) كاشفين عن مبررات القصر البلاغية التي تعتمد على ركيزتين :

الأولى : الإيجابية التي تعتمد على التواصل مع المتلقي أو المخاطب ، وتتجلى في الترغيب بمقتضى اللفظين (الحب / الإيمان).

الثانية : السلبية التي تعتمد على انقطاع المتلقي عنها ، وتتجلى في الترهيب بمقتضى (البغض / النفاق)

وبذلك تتضافر الدلالات البلاغية للقصر لتحقيق الهدف السامي في التربية النبوية للمسلم ، وأما بلورتها فما ورد من أحكام وتوجيهات قرآنية في كتاب الله العزيز .

المثال الثاني : قصر النهوز إلى المسجد على الصلاة وقصر الخطى على رفع الدرجات وحطّ الخطيئات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ وَالْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ ، وَقَالَ : أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ) [١]

مما شرعه الإسلام في شريعته الخالدة أداء الصلوات جماعة في المساجد لحكم بالغة ومزايا جمة، ذلك أن القيام بها " تأليف بين المسلمين وجمع لقلوبهم في أكبر عبادة مهذبة للنفوس مرقية للشعور مذكرة بالواجب معلقة الآمال بالكبير المتعال"[٢]، والصلاة الإسلامية إنْ أداها المسلم فرداً أو جماعة ما هي إلاّ تربية اجتماعية رشيدة ومدرسة إنسانية عالية على نسق فريد في تاريخ الأديان والعبادات [٣].

---

(١) صحيح البخاري : ٧٤٦/٢ ، حديث رقم (٢٠١٣) .
(٢) الأدب النبوي - محمد عبد العزيز الخولي : ٥٠ .
(٣) ينظر: تطريز رياض الصالحين - فيصل بن عبد العزيز آل مبارك : ١٢/١ .

ويكمن قصر الإضافة في تركيبيه الشريفين (لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ) إذ اختزنا المعاني المتقدمة في فضل الصلاة على المؤمن وتسمو بهما بلاغة الإبلاغ الشريف عندما يكون التركيب الثاني بمعنى الأول [١]، وبذلك يثري التكرار الدلالي بنى القصر لتغدو ذا قيمة بلاغية، إذ يُعد شكلاً من أشكال الحضور الذهني الذي يجعل من الركن الإسلامي المقصود حاضراً في ذاكرة المتلقي أو المخاطب حثاً له على تأديته بكل ما يتطلبه من الشروط المعنوية التي تلزم بتنفيذها شريعة الرحمن والشروط الحسية المادية التي تؤهل المسلم لأداء الصلاة، والتكرار في التركيبين القصريين قد عمل على تعميق الأثر المرجو اتساقاً مع المضامين الكريمة وتجاوباً معها وتداخلاً مؤدياً إلى انفتاح البصر والبصيرة ليعلم المسلم تعاليم دينه السامية .

إن تخصيص المقصور الذي تضمن الصفة المعنوية (النهز والإرادة) بالمقصور عليه المتضمن للموصوف (الصلاة) قد أدى ناتجه الدلالي في تبيان أهمية تأدية صلاة المسلم فقوله ﷺ (لاَ يَنْهَزُهُ) يشير في بنيته العميقة إلى مدلول مقصود هو أنَّ الذي يحرك المسلم ويدفعه وينهضه [٢] من بين سائر الأعمال الصالحة الصلاة وحدها بتأديتها في أوقاتها الخمس فضلاً عن أنواع الصلاة الأخرى كصلاة الجمعة والنوافل والسنن والأعياد وغيرها.

وأما الطرف الثاني بعد أداة الاستثناء ففيه يثبت المقصور عليه – الموصوف – إثباتاً قطعياً أن الغاية من فعل الإرادة والنهز من إتيان المسلم المسجد هو أداء الصلاة ، والقصر في تركيبه إضافي لإمكانية تجاوز الصفة الموصوف إلى بقية الموصوفات الأخرى مما هي دالة على المحمود من الأعمال والأفعال ، ولعل انتفاء الصفة عنها يحتم الالتزام بتأدية الركن الإسلامي ولاسيما إن صلى المسلم صلاة

---

(١) ينظر : شرح صحيح البخاري - ابن بطّال : ٢٥٠/٦ .
(٢) ينظر : مقاييس اللغة مادة (نهز) : ٣٦٣/٥ .

الجماعة التي تزيد على الصلاة الانفرادية بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين درجة، قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(البقرة:٤٣)[١].
والقصر في تركيبيه قصر إفراد للصلاة لأنهما يمثلان الردّ على من يعتقد الشركة بين الصلاة وغيرها من سائر الفاضل من الأعمال ، فإذا ما أذن المؤذن للصلاة وجبت وانتفى غيرها [٢] نفياً قائماً على معنى إسلامي مقصود غرضه ترجيحها على غيرها من الفضائل إذ لا يقبل من العبد شيء من أعماله إلاّ بفعل الصلاة ، فهي رأس مال ربحه ، ومحال بقاء الربح بلا رأس مال ، فإذا خسرها خسر أعماله كلها [٣].

ويستتبع التركيبان القصريان بالتركيب الذي مثل (قصر الإثابة) والذي أومأ إلى أن يكون الثواب أو الجزاء من جنس العمل، وفيه قصر الموصوف الماثل في قوله ﷺ (لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً) على صفتيه الماثلتينِ بقوله ﷺ (إلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ أو حُطَّت عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ) ولعل سمة الإضافة بائنة تمام الإبانة لتجاوز الموصوف – الخطى إلى المساجد – الصفة الأولى التي يثاب المسلم المصلي بها إلى الثانية ثم إلى غيرها من الصفات الغائبة المثيبة والسياق النبوي دال عليها آيل إلى استرجاعها في ذهنية المخاطب ، ومن هذا المنطلق فإن سبيل قصر الإضافة التعيين لأن تركيب الوصف القصري قد عيّن صفتين أثيرتين يسعى كل مسلم إلى الفوز بهما وقد أثبت التركيب الوصفين لينحو منحى إلغاء تردد المخاطب بين الصفات الإثابية المتعددة المغيبة عن النص النبوي ولعل غيابها يشعر بالمبالغة في الاعتداد بصنفي الثواب الموصلينِ المصلي إلى جنات الرحمن التي هي بغية كل مسلم .
والناظر في التركيب القصري يستجلي بلاغة النبوة ولقد تناسقت مع الإعجاز النحوي لتحقيق مرامي النبوة القصرية الإيمانية فالركن المنفي محتوٍ للمقصور – الموصوف

---

(١) ينظر : صلاة الجماعة في ضوء الكتاب والسنة - د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني: ٤ وما بعدها.
(٢) ينظر : أحكام الصلاة والطهارة - محمد علي الصابوني : ٢٤٦-٢٤٧ .
(٣) ينظر : الصلاة وحكم تاركها - ابن قيّم الجوزية : ٨١ .

– الذي جاء بهيئة جملة المفعول المطلق البارع في دلالته على كثرة خطى المصلي إلى المسجد ، ولعل تنكير لفظ (الخطوة) يآزر الدلالة القصرية النبوية فالمسلم دائم الخطى إلى المساجد لأداء الفريضة الإيمانية المقصودة في المتن الشريف – الصلاة – فضلاً عن غيرها من الفرائض والسنن المثيبة له، ومن إعجاز النبوة البلاغي أن يشعر سياق الركن المنفي بدلالة الركن الإثباتي المبدوء بأداة إثبات الصفتين المروعتين بمكوناتهما اللغوية البالغتين في أداء المرمى القصري الوصفي إذ تناسق المدلول الاستعاري المستخلص من رفع درجات المصلي الآيل إلى رفعة مقداره في الآخرة ، وحط الخطيئة الآيل إلى محوها [١]، مع ما برعت به دلالات حروف الجر (له، بها) من حث المسلم على دوام الخطى إلى المساجد وتبشيره بعظيم ثواب الله تعالى ؛ لحرصه على أداء الصلاة وأما دال الحرف الجار في صفة محو الخطايا (عنه) فإنه منبئ بغفران الذنوب والآثام ومما يومئ إلى الثواب الأمثل والمفاز المبتغى تنكير الصفتين المتضادتين (درجة ، خطيئة) ليشيران إلى حيازة المصلي "للمنزلة العالية في الجنة"[٢] وغفران لخطايا لا حصر لها لاسيما إن أدام المصلي خطاه مقتدياً بخطى الحبيب ﷺ .

والتراكيب القصرية بالغة في وظائفها التأثيرية لاسيما أنها تهدف إلى استيضاح فقهيات الصلاة وما سعى إليه نبي الإسلامﷺ من تربية المصلي التربية المثالية العالية بشأنه وبرقي مكانته عند خالقه عز وجل ثم عند المسلمين وأما المكافئة المثلى للخاطين إلى المساجد فهي ماثلة بدعاء الملائكة لهم يقولون لكل مصلٍ (اللَّهُمَّ صلِّ عليهِ اللهم ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ).

المثال الثالث : قصر العيش على الآخرة

---

(١) ينظر : شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - محمد بن صالح العثيمين : ٣٢٣/٣ .
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير - عبد الرؤوف المناوي : ٢٨٦/٤ .

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد ﷺ قَالَ : جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَحْفِرُ الخَنْدَقَ وَنَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَافِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)[١]

يتسم الحديث الشريف في متنه بالقصد ، وأما بلاغته ولاسيما في نصه القصري فموسومة بالإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه ومن طبيعة الألفاظ في معانيها ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام النبوي وجهتيه (اللفظية والمعنوية)، فذلك مما تمتاز به البلاغة القصرية النبوية، حتى كأن الصفة وموصوفها حركة نفسية لأنهما خلقا في منطقه ﷺ خلقاً سوياً [٢]، ويدخل النص القصري في دعاء المصطفى ﷺ للذين هاجروا حفاظاً على دينهم وأنفسهم من الكفرة ، والأنصار الذين ناصروه ﷺ وأصحابه المهاجرين (رضوان الله عليهم) فكانوا بحق نصرة لدين الله تعالى.

والنصّ قصري بحسب الإضافة وهو من قصر الصفة على الموصوف ، إذ انتفت الصفة في المقصور عن غير الموصوف في المقصور عليه مع إمكانها مجاوزته ؛ لأن العيش نوعان عيش دنيوي بأنواعه المتفاوتة كعيش الرضا والقناعة وعيش الغنى والترف وعيش الكفاف وغيره وعيش الآخرة بكل أوصافه الذي دعا الرسول ﷺ به للمهاجرين والأنصار ليروا فيه ما لا عين رأت وما لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ودلالة انتفاء الصفة المعنوية في الركن القصري الأول تؤول إلى إثبات المراد منها فقوله ﷺ (لاَ عَيْشَ) يشعر بمدلوله في بنية العمق وهو أن عيش الدنيا زائل فانٍه يناقض العيش المطلوب الباقي[٣] عيش الآخرة الموصوف بأنواع النعم الباقية بقاء المتنعمين – المهاجرين والأنصار –، ولتأكيد الدلالة القصرية والتصريح بها فقد جيء بالمقصور عليه المتضمن للموصوف ليؤكد ويثبت العيش الرغيد الذي ينتظره

---

(١) صحيح البخاري : ١٣٨٢/٣ ، حديث رقم (٣٥٨٦) .
(٢) ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي :٣٣٩ .
(٣) ينظر : شرح سنن ابن ماجه - السيوطي : ٢٨٢/١ .

المنتظرون حماة دين الله ورسوله أي أن بنية السطح في المقصور عليه صرّحت بقطعية العيش المقصود وإثباته وتأكيده الذي ينافي كل عيش دنيوي يتضاءل في صفاته المحمودة عندما يتفاضل مع عيش الآخرة بعد يوم التلاق.

وهذا ما يستشف من مرجعية استعمال لفظ العيش من خلال ورودها في الركن القصري الأول "فالعيش الحياة المختصة بالحيوان وهي أخصُّ من الحياة ؛ لأنّ الحياة تقال في الحيوان وفي الباري تعالى وفي الملك ويشتق منها المعيشة لما يتعيش منها" [١].

ويكون القصر في بنيته قلبياً ؛ لأنه يكون إبطالاً لظنّ المخاطب الذي قد يعتقد أنّ عيش النعيم هو عيش الدنيا ، وعندئذ يثبت النص الشريف عكس الظن – الحكم – الذي اعتقده المخاطب فعيش النعيم هو عيش الآخرة.

ويتسم النص القصري في ركنيه بتهوين الأول منهما والتشويق للعمل والإثابة بالثاني، إذ تتناقض العيشة الدنيوية الحاضرة في الحديث الشريف مع عيشة الآخرة الغائبة المجهولة ترغيباً للعمل لها من المهاجرين والأنصار وعندئذ يكون دعاء النبي ﷺ تبشيراً بها وأجراً عظيماً على ما كابده رجال الرسول ﷺ من مصاعب في الحياة الدنيا، ونستشرف ببلاغة الدلالات القصرية عندما تكون الجملة النبوية ذات قوة تعبيرية في أداء المراد والمقصود من الطريق القصري المخصوص [٢] ؛ ذلك أن الاستثناء الموازي للقصر يؤكد تهوين عيش الدنيا وتعظيم عيش الآخرة من خلال تأويل المستثنى منه بما مفاده (لا عيش مرغوب فيه أو لا عيش مطلوب)، وعندئذٍ يكون المقصور – الصفة – ثابتاً بالمفهوم على حين أن المستثنى المقصور عليه – الموصوف – ثابتاً بالمنطوق للإعلان عن عيش النعيم الأبدي [٣].

وتعضيداً لدلالات القصر التبشيرية، برع الأسلوب النبوي في ألفاظه الكريمة التي انسابت انسياباً إيقاعياً ، محققاً البلاغة النبوية الكاشفة عن الدعاء للمتآخين في الله

---

(١) المفردات : ٣٦٧ .
(٢) ينظر : في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية - د. سعد أبو رضا : ٩٣ .
(٣) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى - د. محمد عبد المطلب : ٢٧٤ .

تعالى ومن خلال ورود الحديث بروايات متعددة، يدعو فيها نبي الإسلام ﷺ لهم جميعاً بالمغفرة والإكرام والنصرة في ألفاظ نبوية بليغة إذ قال ﷺ : (اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَهْ- فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ) (اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَهْ- فَاكْرِمْ/ فَانْصُرْ الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ)[١] .

المثال الرابع : قصر دخول الجنة على ضعفاء الناس وسقطهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ : النَّبِيّ ﷺ قَالَ : (تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتْ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتْ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا) [٢] .

عندما يكون مدار التركيب القصري مركوزاً على الداخلين الجنة ومن هم ؟ لابد من استذكار كتاب الله العزيز وحديثه في آيات كُثر عن الجنة وأوصافها العامة والخاصة بما فيها من جنة المأوى ودار الخلد ودار السلام وجنات عدن وفيها جميعاً الروح والريحان والنعيم المقيم، وأن عرضها السموات والأرض وهي معدة مهيأة للمتقين مفتحة لهم الأبواب [٣].

والحوار المنعقد في المتن الشريف يفصح عن الفريق الذي بشرّه معلم الأمة وهاديها ﷺ إلى جنان الخلد كما يفصح عن المبشرين بالنار.

وفي التركيب القصري قُصرت صفة دخول الجنة على المتقين الضعفاء العاجزين وهم المخصصون بدخولها إكراماً وثواباً على ما أصابهم من وصب ونصب وسقم في الحياة الدنيا، وبالتأمل في ركني القصر نجد الأول منهما وهو المقصور الحامل لصفة الدخول المعنوية يومئ في مبناه الباطن إلى المعذبين الذين لا يرون الجنة ولا

---

(١) صحيح البخاري : ١٠٨١/٣ ، حديث رقم (٣٨٠١) ، وينظر : فتح الباري : ١٥٠/٧ .
(٢) صحيح البخاري : ١٨٣٦/٤ ، حديث رقم (٤٥٦٩) .
(٣) ينظر : ما لا عين رأت - محمد علوي المالكي : ٨ .

يدخلونها ولا ينعمون بما فيها من أنواع النعم والخيرات والملذات وهم كما يفصح الحديث الشريف في متنه المتكبرون والمتجبرون يضاف إليهم غيرهم من أهل النار، وبذلك تكون دلالة النفي التبعي بالتآزر مع فعل الدخول آيلة إلى المراد من الدلالة القصرية في الركن الأول : يدخل الجنة الضعفاء الموصوفون "بالضعف المخالف للقوة وهو من الضعف في الحال، وهم أهل الحاجة والفاقة والجوع[١] ، وقد يراد بالضعفاء المعنى الكنائي ومكمنه : كل ضعيف متضعف وهو الخاضع لله تعالى المذل نفسه له سبحانه وتعالى وهو ضد المتجبر المتكبر من أهل النار المنحشرين فيها يوم البعث [٢]، وأما الموصوفون بالعجز والسقط فيكونون المستحقين للفوز بالمفاز ؛ لأنّ العجز في أصله يعني "التأخر عن الشيء وحصوله عن عجز الأمر ، أو هو القصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة" [٣]، ومن هذا المنطلق يؤدي عجزهم إلى فقدان القدرة على التمتع بنعيم الدنيا وزينتها.

وأما الركن القصري الثاني فإنه يصرّح بالموصوفين المشار إليهم في المقصور عليه الذي تآزر مع أداة الاستثناء ليثبت بها إثباتاً قطعياً مكافأة الموصوفين بالحرمان والفقر والحاجة فيكون في مدلوله مبشراً للمبشرين بالجنة خالدين فيها أبداً ، وعند إمعان النظر في القصر نجد انتماءه إلى النوع الإضافي لتجاوز الصفة المعنوية (دخول الجنة) الموصوفين إلى غيرهم وهم الموصوفون بصالح الأعمال والأفعال المتعبدون أولو العزم والصبر وحُسْن الخُلق ويتقدمهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يضاف إليهم المبشرون بالجنة من صحابة رسول الله ﷺ وغيرهم من المبشرين بالفوز بدار البقاء والنعيم لشمولهم بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(لقمان: ٨ –٩) والقصر كما ينبئ بذلك سياقه الشريف قصر قلب، إذ يشعر التقابل بين المحورين المتناقضين (الجنة والنار) بالدلالة القصرية القلبية فيكون تركيب قصر الجنة في

---

(١) ينظر : أسباب دخول الجنة والوقاية من عذاب القبر - د. محمد محمود عبد الله : ٢٦ .
(٢) ينظر : كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن - محمود رجب الوليد : ٣٠١ .
(٣) المفردات : ٣٣٤ .

المقولة الشريفة رداً على المخاطب الذي قد يجول في خاطره أن دخول الجنة يكون من الموصوفين وغيرهم من المتسلطين والجبارين وأهل الكِبْر وعندئذ يبطل القصر في طريقته وركنيه ذلك الاعتقاد ويثبت عكس الحكم الذي كان يجول في خاطر المخاطب ، فالأقوياء بظلمهم في الدنيا لن يكونوا على تلك الحال في الآخرة، فالنار لها أهلها والجنة لها أهلها، وقد يكون قصراً إفرادياً يفرد الضعفاء الصابرين اعتداداً بإيمانهم وصبرهم في الحياة الدنيا ويلغي مظان المخاطب أن لا شركة بينهم وبين غيرهم من أهل الجنة ، وقد يكون قصر تعيين يبطل تردد المخاطب عندما يجهل أي فريق من أهل الجنة يستبق غيره في دخولها ، ولقد حَسُنَ القصر في أداء دلالاته البلاغية ولاسيما وأنه مسبوق بإسناد القول المجازي إلى الجنة أو إلى النار ولعل ذلك مما يتسق ودلالة القصر التخصيصية.

المطلب الثاني : قصر الموصوف على الصفة

المثال الأول : قصر الأفضلية على صَنعة الأذكار بعد الصلاة والأخذ بها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ : (أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ) [١].

تنعقد المحاورة في الحديث الشريف بين فقراء المهاجرين ورسول الله ﷺ فهم محزونون لحيازة أهل الدثور – وهم أصحاب الأموال الكثيرة من المؤمنين [٢] – الدرجات العلى "في الجنة ، والنعيم المقيم الدائم المستحق بالصدقة ، لأنهم بأموالهم

---

(١) صحيح البخاري : ٢٨٩/١ ، حديث رقم (٨٠٧) .
(٢) ينظر : شرح صحيح البخاري - ابن بطّال : ٤٥٩/٢ .

يتصدقون ويعتقون ، على حين أن فقراء المهاجرين ليس بمستطاعهم أن يدركوا هذه الفضائل والأعمال الصالحة[١].

والتركيب القصري بحسب إضافته وما يسبقه من البيان الشريف باعث على تبشير المخاطبين بإدراك ثواب الفضائل المذكورة في النص الشريف فيما لو التزموا بأداء الفضيلة التي يجب على الموصوفين المخاطبين أن يؤدوها حق أدائها وهي فضيلة الذكر دُبُر كل صلاة.

والقصر في متنه الشريف يخصص الموصوف المفضل بالصفة التي ينبغي صنعها، أي أنه من قصر الموصوف على الصفة قصراً يتجاوز فيه الموصوف الصفة إلى غيرها من الصفات ذلك أن فقراء المهاجرين بإمكانهم أن يحققوا الصفة المعنوية (فضيلة الأذكار) وبإمكانهم أيضاً أن ينالوا أجر وثواب فضائل الأعمال المفلحة في الدنيا والآخرة ، ومن هذا المنطلق يكون القصر في المتن النبوي تعيينياً لتعدد الصفات النبوية (التسبيح والتحميد والتكبير) ولإيثار فضيلة الذكر وتعيينها مفاضلة مع سائر الفضائل الأخرى التي يصنعها فقراء المهاجرين ، وبالنظر البلاغي في الركن المقصور المتضمن للموصوف نجد أن دلالة قوله ﷺ (وَلَمْ يُدْرِكُكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ) تنجلي عند قراءة القول لشريف في بنيته العميقة إذ يكون المقصود منها : أن الموصوف المفضل الذي لا يُفضل أحدٌ عليه هو من الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (الأحزاب :٣٥) ، ويكون الموصوف هو المفضل دائماً لإفادته بفوائد الذكر المباركة الجمّة، ومنها : أنه يطرد الشيطان، ويزيل الهم والغم والاكتئاب والضيق عن الصدر ويجلب الفرح والسرور والاطمئنان والسكينة ، وهو ينير الوجه والقلب ويكسو صاحبه مهابة وجلالاً، والذكر يقوي البدن – وقد أخبر النبي ﷺ علياً وفاطمة رضي الله عنهما أن التسبيح ثلاث وثلاثين مرة، والتحميد ثلاث وثلاثين مرة، والتكبير أربع وثلاثين مرة أفضل من خادم، وذكر الله تعالى أمان من النفاق ؛ لأنّ المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، والذكر يشغل اللسان

---

(١) ينظر : إرشاد الساري : ٥٠٤/٢ .

عن الغيبة والنميمة والكذب وسائر آفات اللسان ويجلب الرزق ، ومن ذكر الله تعالى ذكره لقوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة:١٥٢) ، ولو لم يكن في فوائد الذكر سوى هذه لكفت، وبالذكر يتعرف الذاكر إلى الله تعالى ويحبه ؛ لأنّ مَن ذكر الله أحبه الله عز وجل ، وهو باب من أبواب الإحسان وهو أن يعبد المرء ربه كأنه يراه ، وذكر الله سبحانه يلهم العبد الشهادة عند الموت ؛ لأن الشهادة عند الموت ليست بالأمر السهل، فالكلمات تهرب من اللسان لذا يقول عزَّ قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء﴾ (إبراهيم:٢٧)[١] ، ولعل ألفاظ الموصوف في ركنه دالة على انضمام فقراء المهاجرين إلى فريق أهل الذكر فيكونون الموصوفين بذكر الأذكار والنائلين لثوابها العظيم.

وأما المقصور عليه المتضمن للصفة التي حث الهادي ﷺ على صنعها من فقراء المهاجرين فهي المؤمأ إليها بقوله ﷺ (تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خلفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ) ، ويتعاضد في الركن القصري الثاني معنى تشويق المهاجرين إلى ذكر الله تعالى دبر كل صلاة مع معنى تعظيم فضيلة الذكر ورفعة شأنها عند الله تعالى، وتتآزر الدلالة البلاغية للمقصور عليه مع بلاغة التقديم والتأخير في ألفاظ الصفة المخصوصة، إذ تقدّم التسبيح على التحميد لأنه يتضمن نفي النقائص [٢] "وتنزيهه سبحانه وإثبات خصائص الكمال للمعبود جل وعلا[٣] "وقد ثنى ﷺ بالتحميد "لأنه يتضمن إثبات الكمال له سبحانه، إذ لا يلزم من نفي النقائض إلاّ إثبات الكمال"[٤] وبذلك يكون معنى التحميد مؤكداً لمعنى التسبيح، فضلاً عن أن الثناء على الله سبحانه يذّكر المسلم فيما " أنعم الله عليه من تسوية صورته وتحسينها وتأهيله لخدمته، وإمتاعه بصحته، وأن لا مانع ولا معطي سواه، فيقوى بذلك يقينه،

---

(١) ينظر : الذكر والدعاء في ضوء الكتاب والسنة - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر : ٨١ .
(٢) ينظر : إرشاد الساري : ٥٠٥/٢ .
(٣) مقاصد الصلاة - قطب الدين القسطلاني : ٩٧ .
(٤) إرشاد الساري : ٢/ ٥٠٥ .

ويزداد من قربه من الله تمكينه" [١]، ثم يورد التكبير الذي به لا يلزم من نفي النقائض وإثبات الكمال إلاّ نفي أن يكون هناك كبير آخر ، والتكبير دال على كبريائه وعلوه سبحانه ، وفيه يستشعر قلب المصلي هيبة وعظمة في صدره يخضع فيها قلبه، وتخشع جوارحه[٢].

إن انعقاد المماثلة والمشابهة بين المفضل والمفضل عليه (فقراء المهاجرين = الفقراء الصابرين المحتسبين) و(أهل الدثور = الأغنياء الشاكرين الله تعالى) في بنية الصفة المعنوية السطحية وتنفيذها وتطبيقها بتسبيح الله تعالى وحمده وتكبيره ، دالة بأداتها على شمول أهل الدثور وفقراء المهاجرين بالفضيلة المباركة ، فضلاً عن أن سياق الركن القصري دال على ذلك الشمول [٣].

المثال الثاني : قصر غراس المسلم أو زرعه على الصدقة

عَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَا من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ منهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) [٤]

يرغب نبي الإسلام ﷺ بالزراعة ويحث عليها كونها قوام الحياة وعماد المعيشة، وبما أن خير البر أدومه وأفضل الصدقة ما بقي وعم نفعه، ومن تصدق بشيءٍ فقد أقرض الله قرضاً حسناً وسيضاعف له أجرهُ أضعافاً كثيرة ، فإنه لا يستطيع أحد البر والإحسان إلاّ إذا كان مكتسباً بصناعة أو زراعة أو تجارة[٥].

إن بناء الجمل في تركيبي الركنين القصريين منبئ بتضافر الأساليب النحوية والبلاغية وتآلفها واتساقها فضلاً عن توافق البنية السطحية والعميقة في نص القصر

---

(١) مقاصد الصلاة : ٩٥.
(٢) ينظر : إرشاد الساري : ٥٠٥/٢ .
(٣) ينظر : بلاغة التراكيب - دراسة في علم المعاني - أ. د. توفيق الفيل : ٢٢٢ .
(٤) صحيح البخاري : ٨١٧/٢ ، حديث رقم (٢١٩٥) .
(٥) ينظر : إصلاح المجتمع : ١٦٨ .

للإشارة إلى بلاغة دلالاته الخاصة بالعبادة المالية التي تتحقق بها الصدقة الجارية[١]، والقصر النبوي موسوم بوحدوية اللفظ والمعنى في مشهد بلاغي تواصلي وسيلته النفي والاستثناء ، وبلاغته بناء الكلام النبوي على قانون تقليل الألفاظ وتكثير المعاني[٢].

ويتجاوز –في القصر الإضافي– المسلم الموصوف بصفة التصدق المتحققة بالغراس والزرع إلى صفات أُخر منها صفة استحصال الأجر المادي للمتصدق به وصفة إحياء الأرض الميتة التي بها يعم النفع ويصيب الخير الغارس وغيره لانتفاعهم بالمغروس والمزروع وتكون الصفة المعنوية المعلن عنها في تركيب القصر الإضافي آيلة إلى تحقق الصفة الخفية التي يدركها المتلقي المنتهج للمنهج الإسلامي الكريم أن الصدقة تضاف إلى صدقة غيرها ثم إلى صدقات أُخر لتكون حسنات يذهبن السيئات ، والغاية كامنة في إثابة المسلم الزارع في الدنيا والآخرة.

وينتمي القصر بحسب حال المخاطب إلى الإفراد، ذلك أنه يرد في معرض الردّ على المتلقي الظان بالشركة بين صفة المتصدق به من ثمار الأرض المغروسة أو المزرعة وغيرها من الصفات المحمودة وعندئذ يفردها تركيب القصر النبوي ويثبتها وينفي غيرها لما لها من عظيم إحسان وأجر لأنها دالة على "ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب"[٣]، وتتوحد البنية السطحية والعميقة في تركيب الموصوف لإنتاج الدلالة القصرية المُرمى إليها ، إذ أن جملتي المفعول المطلق (يَغْرِسُ غَرْساً) ، و (يَزْرَعُ زَرْعاً) تومئ إلى بيان نوع المزروع والمغروس الذي ينبغي أن يكون من الأشجار المثمرة النافعة بعودها وورقها وثمرها وظلها وخصائصها الأخرى كالنخل والكرم والزيتون وهكذا يومئ الأسلوب النحوي إلى أن الأجر إنما يكون بمقدار النفع ، وأنفع

---

(١) ينظر : بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحينِ - د. عودة خليل أبو عودة : ٦٣٧ .

(٢) ينظر : البلاغة العربية ووسائل الاتصال - د. محمد بركات أبو علي : ٤٣-٤٤ .

(٣) الأدب النبوي : ٣٣ .

الغرس أطوله عمراً وأطيبه ثمراً [١]، ويعاضد دلالة المقصور أسلوب التنكير الذي يشير إلى كثرة الموصوفين المتصدقين الذين يرجون أفضل القربات وأحسن المبرات ، وهذا ما يستشف من قوله ﷺ : (مَا من مُسْلِمٍ) ، وأما (مِن) فإنها تميز الموصوف بعظيم فضيلته التي بها ينتفع جميع خلق الله تعالى المشار إليهم بألفاظ التنكير (طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ)، فالطير "جمع مفرده طائر والمراد به هنا كل ذي جناح يسبح في الهواء، والبهيمة اسم لكل ما لا ينطق لما في صوته من الإبهام لكن خص في العرف بما عدا السباع والطير"[٢] ، ولعل في التقسيم الحاصل بحرف العطف (أو) دلالة تآزر دلالة الموصوف القصرية في عموم انتفاع مخلوقات الله تعالى مما تنبته الأرض حلالاً طيباً، وبالنظر في تركيب المقصور عليه الماثل في الصفة المعنوية نجد انسجام البنية السطحية وما فيها من مكونات لغوية مع البنية العميقة ومضمونها لإثبات الدلالة القصرية وتأكيدها ، ومن هذا المنطلق يتآزر إيماء أداة الاستثناء إلى ثبوت الصدقة والأجر المستحصل مع اتساق حرفي الجر (له) و(به) على تقدير (إلا كان للغارس والزارع بغرسه وزرعه صدقة جارية مستمرة تثيب المتصدق بها في الدنيا والآخرة) .

وحَسُنت بلاغة دلالة الصفة المعنوية لأمرينِ :

الأول : أن أجر المغروس والمزروع مستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولاً منه ولو مات زارعه أو غارسه، ولو انتقل ملكه إلى غيره ، وظاهر دلالة تركيب المقصور عليه يثبت أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع أو الغرس ولو كان ملكه لغيره.

الثاني : أن الصفة المعنوية المتمثلة بالصدقة الجارية قد وردت في تركيب المقصور عليه بالصيغة المنّكرة لأسباب تربي الصدقة وتعظمها :

أولها : إخراجها من حلال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَنفِقُوا من طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة:٢٦٧) ، ثانيها: إعطاؤها من جهد، ثالثها : تعجيلها مخافة الفوت، رابعها : تصفيتها مخافة البخل وهذا يعني أن يعطيها الغارس من أحسن أمواله وأراضيه

---

(١) ينظر : إصلاح المجتمع : ١٧١ .
(٢) الأدب النبوي : ٣٣ .

الصالحة للزراعة ولا يعطيها من الردئ، وخامسها : إن أعطى المتصدق الصدقة في السر فبها نأى عن الرياء، وسادسها : بعد المن عنها مخافة إبطال الأجر، وسابعها : كفّ الأذى عن مستحقها مخافة الإثم لقوله تعالى :﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى﴾ (البقرة:٢٦٤) [١] .

كما حَسُنت بلاغة القصر بطريقه المخصوص؛ لأنه استعمل فيما شأنه أن يجهله المخاطب أو ينكره [٢] ويحتاج فيه إلى تأكيد مضمون خفي أراد نبي الأمة ﷺ بيانه ضماناً لعيش الرعية وحفاظاً لحقوقها في أموال الأغنياء ومفادهُ : " من كانت له مزرعة أو بستان فليتق الله فيهما، ولا يمنع حق الله منهما يؤدي زكاتها ويطعم منها القانع والمعتر، والبائس والفقير، ولا يجعل بستانه للفجور والآثام، واجتماع الفسّاق الذين يخرجون أياماً إلى منتجعات المجون فيرتكبون من الذنوب والكبائر شيئاً عظيماً، ويأتون كل منكر من القول والفعل جهاراً، فَيَصِلون الليل بالنهار على الفحشاء والسوءات ومزاولة الموبقات" [٣].

المثال الثالث : قصر ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزنٍ على تكفير سيئاته

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)[٤].

يومئ كلام سيد المرسلين ﷺ بتركيبه القصري الذي هو صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن إلى تبشير المسلمين الذين قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور، فيكون القول الشريف باعثاً على غفران ذنوب المتقين ، وتفريج كربهم ودفع

---

(١) ينظر : إصلاح المجتمع :١٧١ .
(٢) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها : ٣٧٥ .
(٣) إصلاح المجتمع : ١٧٣ .
(٤) صحيح البخاري : ٢١٣٧/٥ ، حديث رقم (٥٣١٨) .

البلاء عنهم وحُسْنِ الخواتم التي بها تختم حياتهم الدنيا[١] ، والقصر في نوعه الذي يكون على سبيل الإضافة قصر موصوف (المؤمن النصِب) – (المؤمن الموصوب) – (المؤمن المسقوم) – (المؤمن المحزون) – (المؤمن المهموم) الذي أصابه الأذى – على صفة (تكفير سيئاته) وهو قصر يتجاوز فيه الموصوف الصفة إلى غيرها، إذ يضاف إلى استحصال الثواب المتأتي من تكفير السيئة، رفع درجات المؤمن وزيادة حسناته في الحياة الدنيا[٢]، ويكون ابتلاؤه بأنواع البلاء والمصائب دافعاً وسبباً من أسباب دخوله الجنة في الحياة الآخرة، ومن هنا يكون القصر الإضافي في نوعه قصر تعيين باعتبار أن المتلقي عندما يكون متردداً في النوع الذي سيثاب به المؤمن المبتلى عندئذٍ سيعين المقصور عليه الضام الصفة المعنوية – تكفير السيئة– هذا النوع الثوابي الذي به تتضاءل الذنوب وتقل وهذا أحوج ما يرتجيه المؤمن من خالقه غافر الذنب قابل التوب.

وإذا ما دققنا النظر في البنية السطحية والعميقة لتركيب المقصور نجد أن النفي التبعي للإثبات ، يثبت أوصاف الموصوف، ففي البنية العميقة لهذا الركن القصري نستكشف المضمون الآتي : تمحى خطايا المؤمن لما يصيبه من النصب وهو الإعياء وشدة التعب والوصب وهو الوجع اللازم ، والسقم وهو المرض[٣] ، والحزن والهم والغم ، وأما النظر في البنية السطحية لتركيب الموصوف ففيه نستكشف بلاغة حرف الجر (من) وحرف العطف (الواو) لتتآزر مع دلالات القصر في ركنه المقصور، إذ يدلّ الحرف الجار على أن الله تعالى رؤوف رحيم بعبده المؤمن يلطف به إذا ما أصابه البلاء بأنواعه المشار إليها في المتن النبوي وعندئذ تكون دلالة (مِن) التقليل، أو التخفيف من وطأة البلاء بكل أنواعه التي ستصيب المؤمن، والتي

---

(١) ينظر : الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية - د. محمد ضاري حمادي : ١٣٥-

(٢) ينظر : فتح الباري : ١٠/١٣٠-١٣١ .

(٣) ينظر : غريب الحديث - إبراهيم الحربي : ٢/٧٩٥ ، ومقاييس اللغة مادة (سقم) : ٣/٨٤ .

شملها ودلّ على أنواعها المتعددة حرف العطف (الواو) ، وأكدّ إصابة المؤمن بها تكرار الحرف (لا) المشير بدوره إلى أنواع المصائب المذكورة.

أما أداة الاستثناء وباتساقها مع المقصور عليه المتضمن للصفة المعنوية ففيهما إثبات قطعي لما تمحى به الخطايا وتكفّر به الذنوب ، وهذا ما يفصح عنه المقصور عليه في بنيته السطحية، ومن جماليات القصر الإضافي في الحديث الشريف أنه في طرفه الأول كان حقيقياً أما طرفه الثاني فهو مجازي ؛ ذلك أن التكفير في مرجعيته المعجمية يشير إلى "الستر والتغطية" [١] وقد استعير لمسوغ بلاغي مقصود هو محو الذنوب والفاسد من الأفعال والأقوال حتى "تصير بمنزلة ما لم يُعمل به[٢] ، ويشير حرف الجر (الباء) في قوله ﷺ (إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) إلى الدلالة البلاغية المتوخاة وهي تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها ومشاقها وأحزانها، ولحرف التبعيض (من) فضل بلاغة تكمن في أن أنواع البلاء المشار إليها في تركيب المقصور ما هي الاّ مكفرِّات جزئية لما قد يكون الموصوف مقترفاً له من "الأقوال والأفعال غير الحسنة (السيئات)" [٣] ، وأما تكفير ومحو الخطايا والذنوب بأجمعها فهو كامن في اجتناب الكبائر لقوله تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾ (النساء :٣١).

لقد حَسُنت دلالات القصر البلاغية لما فيها من مراعاة النبي ﷺ لمشاعر المسلم ولما يحس به من بالغ الحزن والأسى إذا ما ابتلي بنوع من أنواع المصائب الواردة في المتن الشريف وأثبت القصر الإضافي في دلالاته تسلية النبي ﷺ للمؤمن الذي يحتم عليه إيمانه بالله تعالى أن يكون على قدر عظيم من الصبر وصحة الاحتساب إلى الله عز وجل ؛ لأنه سبحانه القادر على تبديل الأحوال المحزنة للمؤمن بنقيضها.

---

(١) مقاييس اللغة مادة (كفر) : ١٩١/٥ ، وينظر : المعجم الاصطلاحي لألفاظ الجرح والتعديل - د. بشير محمود فتاح : ٢٦٨ .

(٢) ينظر : الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف - د. فالح حمد أحمد الحمداني : ٢١٢ .

(٣) المفردات : ٢٥٢ .

الخاتمة

تبرز القيمة البلاغية لبحثنا هذا بعد إتمام كتابته التي زهت بتطبيق المفهوم البلاغي على النص النبوي ، وهي ثمرة يانعة للجهد العلمي الذي أخذ كثيراً من وقتنا ، ولنا أن نكتب فوائد علمية يمكن أن نصطلح على تسميتها بـ (النتائج) مما توصلنا إليه بعد الجولة في رياض بلاغة النبوة القصرية ... ونقرر :

– من الباحثين مَن يرى أنّه لا جدوى مطلقاً من التقسيمات البلاغية التي قسم بها عدد من البلاغيين المحدثين أسلوب القصر إلى قصر حقيقي تحقيقي وقصر حقيقي إدعائي وقصر إضافي تحقيقي وثانٍ ادعائي ، والأَوْلى أن يقسم القصر بحسب حقيقته وإضافته إلى صنفيه الرئيسين الحقيقي والإضافي ، وأن تنأى المؤلفات البلاغية المستقبلية عن تلك التقسيمات المبهمة والمتداخلة مع بعضها البعض .

– بانَ الأسلوب القصري في الأحاديث النبوية الشريفة وكان محور البحث معتمداً اعتماداً تاماً على نظم النفي والإثبات والتأكيد وتقرير المعنى في الذهن وتمكينه في النفس وهو ما يتوافق مع منهج النبوة الأساس بضرورة الالتزام بأحكام الشريعة وتعاليمها وفقهياتها والانتهاء عما يخالفها ، وضرورة تطبيق أحكام كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ .

– تعدد الروايات في الحديث النبوي أسهم في استيضاح المعنى النبوي الآيل بدوره إلى إجلاء المعنى القصري لاسيما في الأحاديث التي كانت موضع التحليل .

– بعد استقراء النصوص النبوية المتضمنة لأساليب القصر في صحيح البخاري تبين أن أسلوب النفي والاستثناء هو الأكثر وروداً في تراكيب الحديث النبوي ، وهي لا تختلف عن تلك الأحاديث التي رواها الإمام مسلم مما اتفقَ عليه الشيخانِ ، ولن يختلف الكلام عليها ولا بيان دلالاتها البلاغية ، ولعل السر البلاغي الذي يقف وراء الكثرة العددية أنه الأسلوب المختص بقصر التوحيد (لا إله إلاّ الله) ، والقصر الدعائي أو قصر الأذكار المتمثل في أدعية رسول الله ﷺ .

– أسلوب القصر يعتمد في تكوين البنى النبوية القصرية على أركان النفي والإثبات التي تشعر بمرامي العقيدة الأساسية : الترغيب بأوامر الشريعة والترهيب من نواهيها ومحرماتها .

– إنَّ المعيارينِ البلاغيينِ المتبعينِ في تحديد النوع القصري المنتمي إلى أسلوب القصر باعتبار الحقيقة والإضافة هما معنى الحديث النبوي والسياق الموجه لذلك المعنى ، والقصر الحقيقي في بنية الحديث ماثلٌ في مضامين نبوية معينة .

– غالباً ما يكون القصر الإضافي مستنتجاً من تعدد الصفات أو الموصوفات الظاهرة الحاضرة في بنية القصر النبوي هذا فضلاً عن إشارة البنية إلى الصفات أو الموصوفات المغيبة ، والنوع القصري وُجد في الأحكام الشرعية النبوية ذات البعد المقاصدي الذي يدور في دائرة التيسير على المسلم لا التعسير والتقريب لا التنفير ، والرفق والرحمة ورفع الآصار والأغلال ، فأقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وشمائله وفضائله وأخلاقه ما هي إلاّ مسيرة نبوية على وفق منهج رباني غايته بناء المجتمع الإسلامي الأمثل .

– يضع قصر الإضافة النبوي الخيارات الإسلامية أمام المسلم يتخير منها الحكم الإسلامي القادر على تنفيذه وإنجازه خير التنفيذ والإنجاز بناء على القاعدة القرآنية : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ، ويسير في مسار المحاور الإيمانية المعتمدة على الإشارة الملفوظة أو الملحوظة المشعرة بالصفات والموصوفات الإسلامية الموافقة لمنهج الله عز وجل وسنة نبيه المصطفى ﷺ .

– من وجوه الإعجاز النبوي في بنى القصر أن تكون الصفة ويكون الموصوف ماثلينِ حاضرينِ في كلا طرفي القصر ، ولما كان قانون القصر يحتم وجود الصفة في ركن المقصور والموصوف في ركن المقصور عليه أو العكس فإن الضابط الدلالي المعتمد في البحث هو جعل الموصوف في الركن المتسم بالثبوت المعنوي ، والصفة في الركن المتسم بالتحول والتجدد .

– يتضح القصر المجازي في القضايا الإنسانية ذات الصلة المباشرة بحياة المسلم العقلية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية والسلوكية وبكل مناحيها المعاشية ، ويستبان النوع القصري في مبتغى المسلم الكامن في أنواع الثواب والمفاز الدنيوي والآخروي .

ثبت المصادر والمراجع

١-الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٢- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء : محمد الخضري ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي ، ط٢، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٣-أحسن الصياغة في حلية البلاغة : عبد الله الفرهادي الواعظ ، بغداد ، ١٩٦٧م .

٤-أحكام الصلاة والطهارة : محمد علي الصابوني ، ط١، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٥-أدب الحديث النبوي : د. بكري شيخ أمين، ط٤، القاهرة ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٦-الأدب النبوي : محمد عبد العزيز الخولي ، ط٧ ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .

٧-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي، ط١، بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٨-أسباب دخول الجنة والوقاية من عذاب القبر: د. محمد محمود عبد الله مراجعة وتدقيق: أ. عبد الله سندة ، حلب ، ٢٠٠٢م .

٩-أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) : د. أحمد مطلوب ، ط١، بغداد ١٩٨٠م

١٠- الإشارات والتنبيهات : محمد بن علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : د. عبد القادر حسين القاهرة ، ١٩٨٢م .

١١- إصلاح المجتمع (شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم) : محمد بن سالم بن حسين الكداوي البيحاني ، خرّج آياته وأحاديثه : عبد السلام محمد أمين، ط١، بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

١٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، ط٩، بيروت، ١٩٧٣م .

١٣- الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي ، ط١٥ ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

١٤- الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشهير بالخطيب القزويني، شرّحه وعلق عليه ونقحه : محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت ، ١٩٥٨م .

١٥- بحوث المطابقة لمقتضى الحال زاد النقد الأدبي السليم : د. علي البدري، ط٢، القاهرة ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

١٦- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن الزملكاني، تحقيق : د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي ، ط١، بغداد ، ١٩٧٤م .

١٧- البلاغة الاصطلاحية : د. عبدة عبد العزيز قلقيلة ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

١٨- بلاغة التراكيب – دراسة في علم المعاني : أ.د. توفيق الفيل، ط٢، الدوحة ، ١٩٩٨م.

١٩- البلاغة العربية تأصيل وتجديد : مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية ، ١٩٨٥م .

٢٠- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني) : د. بكري شيخ أمين ، ط١، بيروت ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٢١- البلاغة العربية قراءة أخرى : د. محمد عبد المطلب، القاهرة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٢٢- البلاغة العربية ووسائل الاتصال : د. محمد بركات أبو علي ، الزرقاء ، ٢٠٠٢م .

٢٣- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) : د. فضل حسن عباس ، عَمّان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٤- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : د. محمد حسنين أبو موسى ، القاهرة ، (د.ت) .

٢٥- بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م .

٢٦- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين : د. عودة خليل أبو عودة ، عَمّان، ١٩٩٠م .

٢٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، تحقيق :عبد الوهاب عبد اللطيف ، بيروت ، (د.ت) .

٢٨- تطريز رياض الصالحين : فَيْصَل بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ آل مُبَارَك ، الرياض ، ١٩٧٦ م .

٢٩- تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية : د. أسعد أحمد علي، ط١، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٣٠- التلخيص في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، شرحه : عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، بيروت ، (د.ت) .

٣١- التمهيد لشرح كتاب التوحيد: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١، الرياض ، ٢٠٠٣م.

٣٢- تيسير الإيضاح : د. محمد بيلو أحمد أبو بكر ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط١ ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٤- جهود الكرماني اللغوية والنحوية في شرح صحيح البخاري: سهيلة طه محمد البياتي، الموصل ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٣٥- جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبديع) : أحمد الهاشمي، ط ٢، بيروت ، (د.ت) .

٣٦- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية : د. محمد ضاري حمادي ، ط١، بغداد ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .

٣٧- خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبو بكر علي الشهير بابن حجة الحموي، شرح : عصام شعيتو، ط ١، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٣٨- دلائل الإعجاز (في علم المعاني) : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٣٩- الذكر والدعاء في ضوء الكتاب والسنة : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، ط١ ، الرياض ، ١٤٢٢هـ .

٤٠- شرح التلخيص في علوم البلاغة : محمد هاشم دويدري ، ط١، دمشق ، ١٩٧٠ م .

٤١- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : د. محمد حسن ومحمود حسن محمود ، ط٢، بيروت ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٢- شرح سنن ابن ماجه : جلال الدين السيوطي ، ط١ ، بيروت ، (د.ت) .

٤٣- شرح صحيح البخاري لابن بطال : أبي الحسن علي بن خلف ، تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، ط١ ، الرياض ، ١٤٢٠- ٢٠٠٠م .

٤٤- شروح التلخيص ، ويتضمن : (مختصر سعد الدين التفتازاني ، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي ، والإيضاح للقزويني ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد) ، القاهرة ، (د.ت) .

٤٥- صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: د. مصطفى البغا ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤٦- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ، (د.ت) .

٤٧- صلاة الجماعة في ضوء الكتاب والسنة : د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٤٨- الصلاة وحكم تاركها : شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، بيروت ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

٤٩- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف : د. فالح حمد أحمد الحمداني ، ط١، عَمّان، ٢٠٠١م .

٥٠- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه : جماعة من العلماء ، بيروت ، (د.ت) .

٥١- علم المعاني : د. عبد العزيز عتيق ، بيروت ، ١٩٧٤م .

٥٢- علم المعاني : د. قصي سالم علوان ، البصرة ، ١٩٨٥م .

٥٣- علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي : د. محمد حسين علي الصغير ، ط١، بغداد ، ١٩٨٩م .

٥٤- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) : أحمد مصطفى المراغي ، ط١، بيروت ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

٥٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، ضبطه وصححّه: عبد الله محمود عمر، ط١، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٥٦- غريب الحديث : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ، تحقيق : د. سليمان بن إبراهيم العايد، ط١، جدة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٣ ، دمشق ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٥٨- فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : د. علي محمد الصلابي ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

٥٩- فقه العبادات : محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : محمد محمد تامر، الرياض ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٦٠- فن البلاغة : د. عبد القادر حسين ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٦١- في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية : د. سعد أبو رضا ، الإسكندرية، (د.ت) .

٦٢- فيض الباري مختصر شرح صحيح البخاري للإمام النووي ، اختصار : محمد بن ياسين ابن عبد الله ، بغداد ، ١٩٨٧م .

٦٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير : محمد عبد الرؤوف المناوي، ط٢، القاهرة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٦٤- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

٦٥- كتاب الصناعتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

٦٦- كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن - رؤية لمستقبل العالم الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة : محمود رجب الوليد ، ط١، بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٦٧- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ، بيروت ،١٩٩٧م .

٦٨- ما لا عين رأت : محمد علوي المالكي ، الرياض ، (د.ت).

٦٩- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : يوسف بن حسن بن عبد الهادي ، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، ط١، المدينة النبوية ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

٧٠- المختار مما فسّره الزمخشري من ألفاظ الحديث في أساس البلاغة ـ تأسيس لغوي ودراسة سياقية : د. بشير محمود فتاح ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١١ م .

٧١- المدخل إلى دراسة البلاغة العربية : د. السيد أحمد خليل، بيروت ، ١٩٦٨م .

٧٢- المطول على التلخيص : سعد الدين التفتازاني ، طهران ، ١٩٩١م .

٧٣- المعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٧٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، ط١، بيروت ، ١٩٨٨م .

٧٥- المعجم الاصطلاحي لألفاظ الجرح والتعديل : د. بشير محمود فتاح ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١١م .

٧٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٨٧م .

٧٧- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : د. محمد التونجي والأستاذ راجي الأسمر، مراجعة : د. إميل يعقوب ، ط١، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٧٨- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي ، ط١، القاهرة ، ١٩٣٧م.

٧٩- مفردات ألفاظ القرآن : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داؤودي ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

٨٠- مقاصد الصلاة : الحافظ قطب الدين القسطلاني ، تحقيق : د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، القاهرة ، (د.ت) .

٨١- مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بيروت، ١٩٧٩م .

٨٢- من بلاغة النظم العربي – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : د. عبد العزيز عبد المعطي عَرَفة ، ط ٢، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

٨٣- من كنوز السنة – دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف : محمد علي الصابوني ، بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .